

النقود

المجلد ٢٠، العدد ٢، جمادى الثانية ورجب ١٤٢٨ هـ

★ بركة فاران تشهد تحقق نبوءة فتح مكة

★ المدلول الحقيقي للنبوءات يُفهم فقط عند تحققها

★ هل يمكن لمعجزات الأنبياء أن تحرق قوانين الطبيعة؟

"إني لم أُبعث لعاناً وإنما بُعثت رحمةً"



لها في شتى دول إفريقيا وآسيا كثير من المدارس والمعاهد والمستشفيات. تعمل لخير الناس وتعليمهم وتنقيفهم ولرفع مستواهم الروحاني والمادي.

قضى مؤسسها كل حياته مجاهداً من أجل كسر صليب الشرك والكفر، واقتلاع جذور الإلحاد، وإزالة عوامل الفرقة والاختلاف بين الناس كنتيجة مباشرة لتسرب الكثير من الإسرائيليات والمفاهيم الخاطئة إلى العقائد الإسلامية.. كما اعتصر قلبه ألماً لضياح التوحيد بين قطاع كبير من البشر الذين جعلوا الإنسان العاجز لها، أو اتخذوا مع الله آلهة أخرى، أو أنكروا وجود الله ومالوا إلى الإلحاد. فألف حضرته بعون الله وتأييده أكثر من ثمانين كتاباً دفاعاً عن الإسلام من بينها ثلاثة وعشرون بلغة الضاد. وأثبت بتأييد من الله بطلان العقائد الفاسدة التي ورثها أهل الأديان الأخرى عن الآباء والأجداد، وأنشأ هذه الجماعة لتحمل اللواء من بعده، وأقام أفرادها على البر والتقوى، ورباهم على ما ربي رسول الله ﷺ صحابته الكرام من مكارم الأخلاق.

بعد انتقل حضرة الإمام المهدي ﷺ إلى الرفيق الأعلى عام ١٩٠٨م حقق الله تعالى ما وعد به رسوله الكريم سيدنا محمد المصطفى ﷺ من عودة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة في الأمة الإسلامية، فكان مولانا نور الدين ﷺ خليفته الأول، تبعه الخليفة الثاني حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد ﷺ ثم تلاه الخليفة الثالث حضرة مرزا ناصر أحمد - رحمه الله تعالى - ثم تلاه الخليفة الرابع حضرة مرزا طاهر أحمد - رحمه الله تعالى - ونحن الآن في العهد المبارك لخليفته الخامس حضرة مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز.

تلك هي.. باختصار شديد.. ملاحم الجماعة الإسلامية الأحمديّة.

الأحمديّة هي جماعة إسلامية دينية غير سياسية، هدفها العودة بالإسلام إلى صورته الأصلية التي جاء بها سيد الخلق أجمعين سيدنا محمد المصطفى ﷺ، ثم نشره في كل العالم. وقد أسس حضرة مرزا غلام أحمد القادياني ﷺ الجماعة الإسلامية الأحمديّة بأمر من الله تعالى سنة ١٨٨٩م في مدينة قاديان في الهند. وقد أعلن أنه المسيح الموعود والمهدي المعهود.

الجماعة الإسلامية الأحمديّة تنشر الإسلام في أنحاء العالم بالطرق السلمية، وبالحوجة والبرهان، وهي النموذج الأمثل في زمننا هذا للمجتمع الإسلامي القويم الذي أقامه سيدنا محمد ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم.

تعمل على رفع المستوى الديني والأخلاقي وإنشاء العلاقة الودية والأخوية بين الشعوب وإحلال السلام الحقيقي في العالم وذلك على ضوء التعاليم الإسلامية الصحيحة السمحاء.

مواردها المالية من تبرعات أبنائها لا غير، حيث يتبرع كل فرد بقدر معلوم من دخله الشهري إلى جانب تبرعات أخرى ودفع الزكاة.

تُصدر الجماعة تراجم معاني القرآن الكريم بلغات عالمية شتى وكتباً دينية وكثيراً من المجالات والجرائد الإسلامية.

وهبها الله بفضلته ثلاث محطات فضائية تبث برامجها على مدار الساعة إلى جميع أقطار الأرض مُقدمةً الإسلام الصحيح الذي أتى به سيد الخلق ﷺ.

النقود

المجلد العشرون، العدد الثالث -

جمادى الثانية ورجب ١٤٢٨ هـ - تموز/ يوليو ٢٠٠٧ م

إسلامية شهرية تصدر عن المكتب العربي
بالجماعة الإسلامية الأحمدية العالمية في لندن، بريطانيا.

البريد الإلكتروني altaqwa@islamahmadiyya.net

الهاتف والفاكس 0044 (0) 20 8 5421768

موقعنا عبر شبكة الإنترنت http://www.islamahmadiyya.net

٣ - ٢	نظرة في فكر التقليد والخرافة..!! "كلمة التقوى"
٧ - ٤	ماهية استغفار الأنبياء في رحاب القرآن الكريم
٨	من نضجات أكمل خلق الله سيدنا محمد المصطفى ﷺ أحاديث نبوية شريفة مختارة
٩	"أنت الذي هو عين كل سعادة" اقتباس من قصيدة لحضرة الإمام المهدي ﷺ
١٩ - ١٠	"ارْحَمُوا تَرْحَمُوا" خطبة الجمعة
٢٧ - ٢٠	"إنها النبوة لا الملك" (ح ١٥ من كتاب حياة محمد ﷺ)
٢٨ - ٢٤	إزالة الحصى عن معجزات موسى ﷺ والعصا د. أيمن عودة
٣٥	حكم ونوادر جمال أعزول
٣٦	فقه الإنترنت علاء عثمان

الهيئة الإدارية

نصير أحمد قمر

منير أحمد جاويد

عبد الماجد طاهر

رئيس التحرير

أبو حمزة التونسي

التوزيع

مظفر أحمد

هيئة التحرير

عبد المؤمن طاهر

عبد المجيد عامر

محمد طاهر ندم

جميع الاتصالات والمراسلات تُوجَّه إلى العنوان التالي:

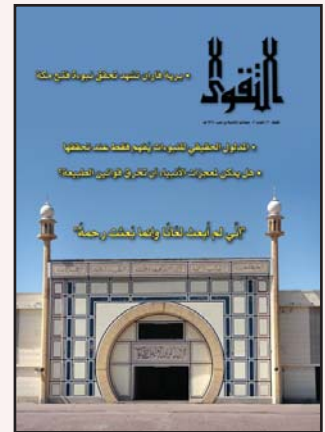
The Editor Al Taqwa, P.O.Box 54094 London SW19 3XF, United Kingdom

الاشتراك السنوي ٢٠ جنيها استرلينا أو ما يعادل ذلك بالعملة الصعبة

تكتب الحوالات المصرفية والبريدية باسم ASI.Ltd

© جميع الحقوق محفوظة للشركة الإسلامية الدولية

ISSN 1352 - 9463



المسجد الأقصى، ربوة - باكستان



حين تشرق شمس المعرفة الدينية الصحيحة على عتبات الجهل والكهنوت والتقليد فإنها تمنح لعين الناظر فرصة نادرة للبحث والمقارنة والاختيار، فتبصر العيون التي حُجبت عن رؤية نور المعرفة والإيمان بعد اختفاء غشاوتها. وتتفكر العقول فتكسر الأغلال والأصفاة الفكرية التي سلبت إرادة التفكير وإعمال العقل. وبالتمعن في الفكر السلفي التقليدي على الساحة نجد أنه فكر تشوبه الشوائب والمفاهيم المتوارثة منذ العصور المظلمة البعيدة، والمقصود بلفظة «السلفي»، هو كل ما يرتبط بشكل رئيسي بالجوانب «التراثية» إن كان ذلك على مستوى الفكر أو العقيدة والتفسير والذي يعبر عن نفسه من خلال مدارس متعددة ومشارب متنوعة، وقد ساهمت كثير من المؤثرات التاريخية والجغرافية والفكرية في تشكيل كثير من بنيته الأساسية، مما يعني الرجوع المتقهقر بدراسة لأصول الخلل ومكامن الانحراف، لا نبشا في التاريخ لإثبات أمور واهية لا تُسمن ولا تغني من جوع، وإنما عملا بواجب العلم والتزام بنتائج البحث والتحقيق. فهم يسمون منهجهم هذا بمسميات عديدة برافة كالقول بإتباع السلف والتابعين أو شعارات فهم الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة. وهلم جرا من المسميات. وفي واقع الأمر فإن الدارس المبصر لهذا الفكر يجد أنه فكر جامد لا يؤمن سوى بالتقليد والاقتفاء نقلا دون عقل، كما أن منهجه جعل الحديث حكما وقاضيا على كتاب الله ومهمنا عليه بل ويزيد عليه في الأحكام والتشريع وناسخا لأحكامه! هذا فضلا عن مرويات التاريخ غير اليقينية المنسوبة إلى الصحابة الكرام أو التابعين التي قيدوا بها فهم آيات القرآن وأحكامه، إذ لا ترى هذه المدرسة من سبيل لفهم الدين الحنيف إلا بتقليد مرويات التاريخ

نظرة في فكر

التقليد وانحرافه.. !!

والأخذ والتقليد بها وهي كما يرونها التفسير الصحيح والسبيل لتقعيد الفهم بمنهج واحد.. ولعل هذا هو ما جعل هذا التيار ينحو منحى التكفير والتفسيق ضد كل من خالف هذه الأدبيات التي جعلوها معلوما من الدين بالضرورة! فالمخالف لهذه المدرسة في مفاهيمها مهما كان متبعا للكتاب والسنة فهو كافر ما لم يتخذ من تفسيراتهم فهما له يأخذه عن تقليد أعمى. وهذه النزعة المتعصبة في التقليد قد حفزت كثيرا من علماء هذه المدرسة على إصدار فتاوى التكفير وإهدار الدم أمام كل من نادى بما يخالف هذا النهج.. وهذا ما فعلوا بأبي حنيفة النعمان وأبي الحسن الأشعري ولم يتورعوا أبدا في يوم من الأيام عن تسمية مخالفهم بالاعتزال والابتداع والزندقة وغيرها من



الألقاب القدحية.

والناظر إلى تاريخ الفكر السلفي في كل مكان يجده موسوماً بوسم العنف والقتل والإرهاب الديني والحكم على قلوب وصدور الناس رجماً بالغيب وسوء الظن بهم وإذكاء الفتن بين طوائف و فرق الأمة الإسلامية. وما يثير الغرابة والدهشة في هؤلاء أهم يتهمون غيرهم بمخالفة أقوال السابقين ويضطهدونهم عليها وهي نفس التهمة الذي طالت شيخهم ابن تيمية الذي يجعلونه يقتبسونه له حيث حكم بسجنه معاصروه لمخالفته أقوال من سبقه!!

لقد هالني ما وجدت في الفكر السلفي السائد من جمود وحرفية ومفاهيم مناقضة لصحيح العقيدة كاعتقادهم بالتجسيم والتشبيه للذات الإلهية، ونسبتهم الجوارح إليه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، هذا فضلاً عن جعلهم لله مكاناً يحيط به وهي السماء! واعتقادهم بعصمة الأنبياء عصمة عن الكبائر دون الصغائر! وليت شعري كيف يمكن الاعتقاد بأن للشيطان على أنبياء الله سلطان جزئي! وقد قال رب العزة في كتابه المجيد ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (الحجر: ٤٣). وهذا إبراهيم عليه السلام الصديق بشهادة القرآن ينسبون إليه الكذبات الثلاث! وهذا سليمان عليه السلام قد ضاع مائة امرأة في ليلة واحدة! وأيوب الذي أقسم ليضربن زوجته مائة جلدة فيوجهه الله والعياذ بالله إلى الاحتيال على القسم بضم مائة من العصي الخفيفة ويضرب بها زوجته! وغير ذلك مما ينتقص من الأنبياء الأطهار! وعلى رأسهم رسول الله ﷺ الذي قالوا بخضوعه لتأثير السحر! .. أما عن الملائكة فلا يرحون يقولون بعصمتها حتى يفاجئك تفسيرهم لقصة الملكين ببابل هاروت وماروت! اللذان شربا الخمر وارتكبا الزنا!..!

كما أن عقيدتهم في القرآن قائمة على أساس الناسخ والمنسوخ وتعارض الأحكام وأن من السور القرآنية التي أنزلت على رسول الله ﷺ ما تم إلغاؤه وإبطاله تحت دعوى الناسخ والمنسوخ! وأن سورة الأحزاب كانت بطول سورة البقرة!.. وهذا قليل من كثير مما لا يمكن عدّه ولا إحصاءه من منطلقاتهم العقدي التأصلي القائم على جعل المرويات قاضية على كتاب الله والتشدد بتفسيرات السلف الصالح! لم يقدم الفكر السلفي للأمة الإسلامية غير ثقافة الكراهية والبغضاء والتناحر المذهبي تحت شعار الولاء والبراء! كما وبدلاً من الانفتاح الفكري المتزن أكد التقليد، وعوضاً عن توحيد المسلمين فإنه أصبح عامل فرقة من خلال تأكيده على الفروقات وإقصاء الآخرين وبدلاً من الحوار مع الآخر المخالف سلط سيف التكفير! وبدلاً من نقل ما هو صدق في المخالف، يُعتمد إلى التشويه والدسّ والتحريف. ولقد أثبت التاريخ أن الجماعات المتوقعة المغلقة بخطابها المتممة التي ترفض مبدأ الحوار والاستماع إلى الآخرين وتكفي بالافتراء والتشويه تضليلاً لأتباعها ولغيرها فإنها تفقد شيئاً كثيراً من أفرادها، ثم تملأ الجوَّ تربصاً وريبة وانعدام ثقة فتدعو إلى المقاطعة والتحريض على عدم الاستماع للآخرين. أما الجماعة الإسلامية الأحمدية الواثقة من منهجها وفكرها وعقيدتها فهي تطلب من أتباعها أن يستمعوا ويناقشوا كل من هبّ ودبّ، وهكذا الثقة المتبادلة بين أفرادها تظل في أعلى مستوى من اليقين والحق، وإن علاقتنا مع الآخرين المخالفين لنا قائمة على البينة والدليل والتفاهم والعدل والوضوح والأمانة في النقل، ولن يكون فيها مجال للشك والريبة والافتراء والتعصب والحرص الكذوب. وما ذكرنا لهذه المنن إلا تحديشاً بنعم الله عز وجل.

﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ
عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلِنِ مَا لَيْسَ
لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ
الْجَاهِلِينَ﴾ (هود: ٤٧)

التفسير:

ما أبلغه من كلام حيث ذكرت الحقيقة
في كلمات موجزة للغاية. يقول عز من
قائل: إننا لم نقصد بكلمة ﴿أهلك﴾
كل من في بيتك، وإنما قصدنا المؤمنين
فقط، لأن أهلك الحقيقيين من هم على
صلة بالله عز وجل.

وقوله تعالى ﴿إنه عمل غير صالح﴾
يمكن تفسيره بطريقتين؛ الأول: أن يكون
ضمير الغائب في (إنه) راجعاً إلى دعاء
قام به نوح، والمعنى: أن دعائك هذا
يا نوح ليس عملاً صالحاً إذ ليس في
محله، لأن الصالح من الأعمال ما يكون
ملائماً للموق ف. لقد سبق

أن أعلننا قضاءنا، فلا جدوى من هذا
الدعاء وقد حان العذاب.

والثاني: أن يكون الضمير عائداً على
ابنه، وتكون كلمة (عمل) بمعنى عامل،
أو يكون هناك محذوف والتقدير: إنه
ذو عمل غير صالح، والمعنى: أن ابنك
ليس من أهلك لأنه لم يزل يعمل عملاً
غير صالح أي كان يرتكب أعمالاً غير

ماهية استغفار الأنبياء

قَالَ يَنْوُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا
تَسْأَلِنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ
الْجَاهِلِينَ ﴿٤٧﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي
بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٨﴾
قِيلَ يَنْوُحُ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ
مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٩﴾

(سورة هود)



من دروس: حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد

المصلح الموعود ﷺ

الخليفة الثاني لحضرة الإمام المهدي عليه السلام



صالحة منافية للتقوى.

وكلا التقديرين جائز وفق القواعد العربية، لأن المصدر يقع أحياناً بمعنى الفاعل للمبالغة، كقول الشاعر عن ناقته:

فترتع ما غفلت حتى إذا ادكرت

فإنما هي إقبال وإدبارٌ

(لسان العرب)

أي عندما تذكر فصيلها فإنها لا ترح مقبلة ومدبرة دون انقطاع.

ويعني قوله تعالى ﴿إني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾.. أنت حامل أمانة كلام الله تعالى، فعليك أن تكون أكثر حذراً في المستقبل وتندبر في كل جانب محتمل من كلامه. وكأن ما حصل في النبأ من إجمال وغموض كان بهدف أن يجعله الله عبرة لنوح في المستقبل، حيث قال له: عليك أن تتلقن درساً مما حصل منك من خطأ اجتهادي في فهم الوحي، وتذكر دائماً أن الأنبياء السماوية تحتمل أكثر من مدلول، ولا يفهم تأويلها الحقيقي إلا عند تحققها.

وأما قوله تعالى ﴿فلا تسألن ما ليس لك به علم﴾ فيمكن تفسيره بمفهومين:

الأول: أن لا تطلب من الله تعالى ما ليس لك علم بمآله وعاقبته.

إن هذا الأمر من الأهمية والخطورة بمكان إذ إن الجهل به يؤدي إلى أضرار كثيرة

بالناس. إن الإنسان ليس بعالم الغيب، فلا يستطيع أن يدرك ما إذا كان ما يطلبه من الله هو خيرٌ له أم شر، مبارك أم غير مبارك، لذلك يجب على من يدعو الله دعاءً أن يأخذ هذا الأمر في اعتباره دوماً عند الدعاء، فيبتهل إلى ربه أن يمنحه الشيء ما دام خيراً له، وإلا فليصرفه عنه.

ولقد عمل النبي ﷺ بهذه الحكمة دائماً، كما حث أصحابه على ذلك، فقد كان يأمرهم أنه إذا هم أحدهم بأمر فليقل: ”اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، فأقدره لي، ويسره لي، ثم بارك لي فيه. وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم أرضني به“ (البخاري، التهجد).

ما أكمله وأشمله من دعاء! فإنه يوضح تماماً أن ما يحسبه الإنسان خيراً قد لا يكون خيراً بالضرورة، بل لعله يكون شراً في علم الله الذي عنده الغيب. فينبغي أن لا يسأل الإنسان ربه قائلاً: أعطني كذا وجُد عليّ بذلك، وإنما عليه أن يتوسل إليه أن يعطيه الشيء إذا كان خيراً له عاقبةً ومآلاً، وإلا فليصرفه عنه. نعم، إذا كان الإنسان يعلم علم اليقين أن الشيء الذي يطلبه هو خيرٌ له دونما شك

فيمكن أن يسأل الله إياه صراحة. فمثلاً لا ضير أن يسأل ربه أن يهب له رضوانه ولقائه، ويؤتاه حسنة في الدنيا وحسنة في الآخرة، لأنها كلها خيرٌ وبركة. ولكن يجب أخذ الحيطة والحذر دائماً فيما لا يعلم الإنسان بمآله ونتائجه.

وكان دعاء نوح ﷺ - وإن تم تلميحاً وإشارة - بأن يركب ابنه السفينة معه أيضاً من الأمور التي لا يعرف عقابها، بل كان أغلب الظن أنه لو نجح معهم لأساء إلى الدين لما تعود عليه من المعاصي، وتسبب في ضعفه بدلاً من إعلاء كلمته، ولذلك كان هلاكه هو القرار الصائب الملائم.

والثاني: إذا اعتبرنا كلمة (فلا تسألن) بمعناها العادي أي السؤال لا بمعنى الدعاء فالمراد من الآية: ينبغي للمؤمن أن لا يسأل إلا عن أمور يزيده الجواب عنها علماً ومعرفةً، ويكون إدراك حقيقتها في مقدرته. أما دقائق الحكم ولطائف الأمور التي عليها مدار النواميس الطبيعية، والتي لا تنحصر في حادث أو حادثين وإنما تتعلق بملايين الأحداث التي وقعت بعضها قبل ملايين السنين أو سيقع بعضها في المستقبل.. فالسؤال عن مثل هذه الأمور ليس إلا عبثاً ولغوياً، لأن إدراكها بشكل كامل ليس بوسع العقل البشري، إذ لم يؤت القدرة على



استيعابها. فقله تعالى (فلا تسألن ما ليس لك به علم) يعني إذاً: لا تسأل عن أمور لا طاقة لك بإدراكها، أو التي جُعلت خارج نطاق علمك. وليس المراد أن لا تسأل عما لا تعلمه، ذلك أن الإنسان إنما يسأل عن الشيء ما دام يجمله، وأما ما يعلمه فلا حاجة له بالسؤال عنه. وأي شك في أنه لا يليق بالمرء أن يسأل عن أمور هي أسمى من أن يدركها عقله، أو هي مما لا ينبغي أن تنكشف له تفاصيلها.

ويبدو من قوله تعالى ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرِ صَالِحٍ﴾ أن أعمال الابن كانت خافية على أبيه، فنهاه الله عن السؤال كيلا يهتك سترُ ابنه ويُفتضح أمره، لأن الجواب عليه كان يتطلب الكشف عن عيوبه ومعاصيه كشفاً تفصيلياً، فأوجز الجواب قائلاً (إني أعظك أن تكون من الجاهلين).

فما أروعَه مشهداً لكون الله ستاراً وذا مغفرة واسعة، حيث يقضي عزّ وجل بغرقه من جهة، ومن جهة أخرى يستر عيوبه ومساوئه. فقله (إني أعظك أن تكون من الجاهلين) يعني في هذا السياق بأنه يجب على الإنسان أن يدرك مثل هذه الأمور بعقله الموهوب ويكف نفسه عن السؤال عنها. وأي شك في أن السؤال يسبب المشاكل في بعض المواقف، فيجب على المرء عندئذ أن يتصرف بحكمة مستخدماً عقله بدلاً من السؤال.

أما قول نوح ﴿وَإِنْ وَعَدَكَ الْحَقُّ﴾ فينشأ عنه سؤال وهو أنه لم يرد في الآية أي وعد من الله تعالى بإنقاذ ابنه، بل كل ما ذُكر فيها هو أن الله أمره بأن يأخذ معه في السفينة أناساً معينين، فإذا كان أحد قد عصى الله تعالى ولم يركب فيها وغرق فهذا ذنبه هو، وليس بأن الله قد أخلف وعده، فكيف يذكر نوح إذْن رَبِّهِ بوَعده قائلاً ﴿وَإِنْ وَعَدَكَ الْحَقُّ﴾؟

الجواب: لقد كان هناك وعد إلهي حتماً، ولكن جاء بصيغة أمرٍ، وما أكثر ما يكون الوعد يحمل طابع الأمر. ذلك أن أمرَ الله له بأن يأخذ في السفينة أناساً معينين كان يتضمن دون شك وعداً منه بإنقاذهم من الطوفان. والدليل الآخر على كونه وعداً الاستثناء المذكور في قوله (إلا من سبق عليه القول) حيث لم يكشف عليه بأسماء هؤلاء الذين قضى بهلاكهم من أهله. فلو كان هذا أمراً دون وعدٍ لصرّح بأسمائهم أو أعمالهم حتى لا يأخذهم في السفينة، ولكن هذا لم يحصل، ومن أجل ذلك تحيّر نوح عندما رفض ابنه أن يركب مع أنه من أهله. ولكن الله لم يرد أن يخبر نوحاً بأسماء هؤلاء الذين استثناهم من النجاة.

والدليل الثالث على وجود الوعد هنا أنه تعالى لم يقل لنوح عند سؤاله: متى وعدتُك بنجاة أهلك، وإنما قلت لك فقط: خذ فيها أهلك والمؤمنين، فإذا كان أحد لم يركب معك فهذا ذنبه هو، وهو المسؤول عن عاقبته. بل الله تعالى يسلم ويقرّ بوَعده لنوح بنجاة أهله الحقيقيين المؤمنين قائلاً: نعم، ولكن هذا الرجل الذي تتوسّل من أجله ليس من أهلك. لقد رأيت لزماً عليّ أن أوضح هذا الأمر بالتفصيل لأن بعض الجهال ينكرون إمكانية وقوع النبي في خطأ اجتهادي في فهم أبناء الله تعالى، وعندما تُعرض عليهم مثل هذه الآيات التي تنقض دعواهم يقولون: ليس فيها أي وعد، وإنما تذكر أمراً من عند الله تعالى. ولكني قد أثبتُ الآن أن الله كان قد قطع فيها وعداً لنوح بنجاة أهله، ولكنه لم يدرك المراد الحقيقي من الوعد، فوقع في خطأ اجتهادي، ولكن الله تعالى كشف عليه الحقيقة في موعدها.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (هود: ٤٨)

التفسير:

ما أرفَع مكانة الأنبياء في طاعة الله عز وجل، فما أن سمع سيدنا نوح عليه السلام قول الله تعالى حتى قام واعترف بخطئه



فتبين أن استغفار الأنبياء لا يعني أنهم بالفعل ارتكبوا معصية لربهم، وإنما المراد منه أن يحميهم الله من عواقب تقصيراتهم الناتجة عن ضعفهم البشري.

وهكذا تراه يؤكد موقف القرآن ويرفض موقف التوراة التي تقول بأنه لم ينح من الطوفان إلا نوح وأولاده وأن ذراريهم هم الذين عمروا الأرض فيما بعد (التكوين: ٨). إذ تصنف التوراة سكان المعمورة كلهم ثلاثة أصناف تُنسب إلى ثلاثة من أبناء نوح: سام وحام وياث (التكوين: ٧). بينما يعارض القرآن الكريم هذه الفكرة الخاطئة معلناً أنه ليست ذرية نوح وحده الذي عمّرت ذريته الكرة الأرضية، بل كان لأتباعه أيضاً أولاد، إلى جانب الشعوب الأخرى من المناطق التي لم تتعرض للطوفان.

وقوله تعالى (وَأُمَمٌ سَمْتَعْتَهُمْ) قد يعني الأمم الأخرى التي لم تتعرض للطوفان - كما أسلفت - بل مد الله لهم وأمهاتهم ثم أهلكتهم فيما بعد. كما يمكن أن يُقصد به ذراري نوح وأتباعه، والمراد أن طائفة كبيرة من أولاد هؤلاء الناجين المباركين سوف تؤول إلى الفساد بعد فترة من الزمن فيمسهم من العذاب الأليم.

ورجع عن موقفه، وليس هذا فحسب، بل تضرع إليه تعالى قائلاً: يا رب سأسعى جاهداً أن لا أعود لمثله أبداً، ولكني لا أقدر على فعل شيء بدون معونتك، فأعني على أن لا أقع في مثل هذا أبداً.

ما أشد أولئك المتصوفين الكاذبين جهلاً وغباءً، الذين يطلقون دعاوي فحمة خطيرة، رغم حرمانهم من أية درجة روحانية عالية، ولا يتأسون بهذه الأسوة الحسنة للأنبياء عليهم السلام.

كما أن هذه الآية تكشف لنا حقيقة استغفار الأنبياء ونوعية الأخطاء التي تصدر عنهم. فقد ذكرت الآية استغفار نوح عليه السلام، ولكنه لم يكن عن معصية أو مخالفة منه لحكم من أحكام الشرع، وإنما كان استغفاره بسبب خطأ اجتهادي وقع فيه من جراء الضعف البشري، كما توضح الآيات السالفة. فتبين أن استغفار الأنبياء لا يعني أنهم بالفعل ارتكبوا معصية لربهم، وإنما المراد منه أن يحميهم الله من عواقب تقصيراتهم الناتجة عن ضعفهم البشري.

شرح الكلمات:

بركات: جمع بركة وهي: النماء؛ الزيادة؛ السعادة. بَرَكَ الشيء بالمكان: ثَبَّتَ وبارك الله فيك: طَهَّرَكَ. بَارَكَه: رضي عنه. واللهم بارِكْ على الأنبياء وآلِهِم: أي أَدِمْ لهم ما أعطيتهم من التشريف والكرامة (الأقرب).

التفسير:

تعارض هذه الآية نظرية التوراة بأن الناس اليوم هم أولاد لنوح من ذريته التي بقيت بعد الطوفان، فإنه تعالى يؤكد هنا أنه ليس نوح وحده الذي انتشرت ذراريه في الدنيا، بل لقد قطع الله تعالى وعوداً لأتباعه بالبركة والنماء، وأن أولادهم أيضاً قد انتشروا في الدنيا إلى جانب أمم أخرى غير أمة نوح عليه السلام.

ما أقوى هذا البيان دليلاً على فضل القرآن الكريم على التوراة. إن كل كتابي متقف يوقن اليوم في قلبه أن سكان الأرض ليسوا من أولاد نوح وحده،

﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَّمٌ سَمْتَعْتَهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (هود: ٤٩)

من نفحات أكمل خلق الله

سيدنا محمد المصطفى ﷺ



عن أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةٍ رَجِمَ وَمَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ. قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَا الْاسْتِعْجَالُ؟ قَالَ: يَقُولُ قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ أَرِ يَسْتَجِيبْ لِي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدْعُ الدُّعَاءَ. (صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء)

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَدَى يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى: إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ لَهُ نِدَاءً، وَيَجْعَلُونَ لَهُ وَلَدًا، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ وَيُعْطِيهِمْ. (صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة)

عن ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا الْبِرُّ، وَلَا يُرَدُّ الْقَدَرُ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمَ الرِّزْقَ بِخَطِيئَةٍ يَعْمَلُهَا. (ابن ماجه، كتاب المقدمة)

عن أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ رَأَى مِنْ فَضْلِ عَلَيِّهِ فِي الْخَلْقِ وَالرِّزْقِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ مِمَّنْ فَضَّلَ هُوَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لَا يَزْدَرِيَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ. (الترمذي، كتاب اللباس)

عن سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: خَيْرُ الذُّكْرِ الْخَفِيُّ، وَخَيْرُ الرِّزْقِ مَا يَكْفِي. (مسند أحمد بن حنبل، مسند العشرة المبشرين بالجنة)



أنت الذي هو عين كل سعادة

وبكل ما أخبرت من أنباء
جئناك مظلومين من جهلاء
إننا نحبك يا ذكاء سخاء
يسعى إليك الخلق للإركاء
تهوي إليك قلوب أهل صفاء
نورت وجه المدن والبيداء
شأننا يفوق شؤون وجه ذكاء
عين النداء نبعث لنا بحراء
فإذا رأيت فهاج منه بكائي
لسنا كرجل فاقد الأعضاء
نبني منازلنا على الجوزاء
رأس اللئام وهامة الأعداء
يا من يرى قلبي ولبي لحائي
للسائلين فلا ترد دعائي

آمنت بالقرآن صُحِفَ إلهنا
يا سيدي يا مؤئل الضعفاء
إن المحبة لا تضاع وتشترى
يا شمسنا انظر رحمةً وتحننا
أنت الذي هو عين كل سعادة
أنت الذي هو مبدء الأنوار
إني أرى في وجهك المتهلل
شمس الهدى طلعت لنا من مكة
ضاهت أياة الشمس بعض ضيائه
نسعى كفتيان بدين محمد
أعلى المهيمن همنا في دينه
إننا جعلنا كالسيوف فندمغ
ياربنا أفتح بيننا بكرامة
يا من أرى أبوابه مفتوحة

(الاستفتاء ص ١٢٩ إلى ١٣١، طبعة المملكة المتحدة ٢٠٠٥)



إن شاء الله تعالى في خطبة اليوم أيضًا سوف أتناول بيان صفة الله تعالى "الرحمن" على ضوء الأحاديث النبوية الشريفة. هناك الكثير من الأحاديث التي تبين صفة الله "الرحمن" .. ولقد اخترت بعضًا منها والتي من خلالها قد شرح ويّين لنا النبي ﷺ هذه الصفة الإلهية من مختلف الزوايا لكي ندركها بشكل صحيح.

إن هذه الأحاديث إذا كانت من ناحية تولد فينا الرغبة للاتصاف بصفاته عز وجل وجذب رحمته وتدفعنا أن نظل خاضعين راكعين لله تعالى.. بحيث تبقى كل ذرة من كياننا خاضعة له جل جلاله؛ فإنها من ناحية أخرى وفي نفس الوقت تدفعنا للصلاة على ذلك النبي الأعظم ﷺ الذي فسّر هذه المواضيع ويّين الزوايا المختلفة لهذه الصفات الإلهية من أجل أن ننشئ نحن.. عباد الله الضعفاء.. الصلة بالله تعالى. فالنبي ﷺ بتقديم أسوته الحسنة قد بيّن لنا تلك الطرق لإنشاء الصلة الحقيقية مع الله تعالى.

وقبل أن أقدم لكم هذه الأحاديث أريد أن أقدم لكم مقتبسًا من أقوال سيدنا الإمام المهدي ﷺ لكون

"ارْحَمُوا تُرْحَمُوا"

خطبة الجمعة

التي ألقاها حضرة مرزا مسرور أحمد

الخليفة الخامس لسيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود ﷺ

في ٢٦ / ٠١ / ٢٠٠٧ م بمسجد بيت الفتوح، لندن - بريطانيا

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ *

تعريب: قسم الترجمة بالجماعة



وافراً من رحمانية الله تعالى ومن صفاته الأخرى لكي يرث نعم الله تعالى أكثر فأكثر قدر المستطاع.

وقد ورد في حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمَعَ فِي الْجَنَّةِ أَحَدٌ وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنَ الْجَنَّةِ أَحَدٌ خَلَقَ اللَّهُ مِائَةَ رَحْمَةٍ فَوَضَعَ رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ خَلْقِهِ يَتَرَاخَمُونَ بِهَا وَعِنْدَ اللَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ رَحْمَةً". (مسند أحمد)

فكل هذه الرحمة التي أحاط الله تعالى بها كل هذا الخلق هي جزء واحد من مائة جزء من رحمته عز وجل. ولكن هذا لا يعني أن المؤمن سوف يُحرم من هذه الرحمة بعد كونه مؤمناً وبعد أن يعرف ما عند الله من العقوبة وأنه لن يطمع في الجنة بناءً على ذلك.. وإنما المراد أن المؤمن بتقواه ولعلمه بصفات أخرى لله تعالى وإدراكه لها وهو يزداد في هذا الإدراك؛ يكون عنده خوف وخشية أن يصيبه غضب الله تعالى أو يتعرض لسخطه بسبب خطأ ما. لذا فهو يحاول دائماً أن يسير على الصراط المستقيم ويدعو الله تعالى دوماً ويسأله رحمته. إن

ترون في بعض هذه الأحاديث ما هو متعلق بالحيوانات أيضاً وكيف نرحم هذه المخلوقات.. وكيف تجلت صفة الرحمانية على الذي كان رحمةً للعالمين وكيف كان يضطرب لآلام الحيوانات.

في الخطبة الماضية ذكرت لكم في ضوء أحد الأحاديث كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم يضطرب ويقلق بسبب أن الناس يصبحون محل عذاب الله تعالى بسبب شقاوتهم رغم كونه عز وجل رحماً.

وفي هذا الصدد هناك حديث؛ فعن الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ قَالَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ أَبُو الْقَاسِمِ صلى الله عليه وسلم صَاحِبُ هَذِهِ الْحُجْرَةِ: "لَا تُنَزِعُ الرَّحْمَةَ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ". (مسند أحمد)

قد ورد في هذا الحديث الشريف أن الرحمة سوف تنزع من الشقي؛ وفي الوقت نفسه قد بشر صلى الله عليه وسلم برحمة الله الواسعة أيضاً. فإن الذين لا يتجاوزون حدود الله تعالى؛ لن يُحرموا من رحمة الله تعالى. إنما الحرمان هو من نصيب أولئك الذين يتجاوزون حدود الله. فالمؤمن يجب أن يكون حريصاً على أن ينال حظاً

النبي صلى الله عليه وسلم مظهرًا كاملاً لرحمانية الله تعالى.. حيث يقول سيدنا الإمام المهدي عليه السلام ما معناه:

أن المظهر التام للرحمانية هو "محمد" صلى الله عليه وسلم.. حيث تعني كلمة "محمد" الذي حُمدَ كثيراً. و"الرحمن" أيضاً هو من يرزق ويهب دون سؤال سابقٍ ومجاناً ودون تفریق بين المؤمن والكافر.. فمن البين أن الذي يُعطي دون سؤالٍ سوف يُحمد ويُثنى عليه.. فإن "محمد" صلى الله عليه وسلم كان يحظى بتجلي "الرحمن". (جريدة الحكم،

١٧ فبراير ١٩٠١)

هذا هو حُسن وجمال إدراك المسيح الموعود عليه السلام وفهمه لمقام سيدنا "محمد" صلى الله عليه وسلم ومدى مكانته العليا.. الذي كان سيده ومطاعه. وهذا بيانه لمكانة النبي صلى الله عليه وسلم وعظمته.. حيث لا يدرك هذه المكانة غيره.

إن تجلي صفة "الرحمن" الذي ذكره المسيح الموعود عليه السلام سوف نلمس جوانبه العديدة من خلال الأحاديث النبوية الشريفة التي سأتناولها لاحقاً في هذه الخطبة. وسنلاحظ أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما يتناول بيان هذه الصفة الربانية فإن كلماته تصطبغ بنبرة معينة. وسوف



الله تعالى قد علمنا تلك الأدعية التي يجب أن ندعوه بها لكي نرث رحمته. فقد علمنا تعالى في سورة الأعراف هذا الدعاء: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف: ٢٤).. فالؤمن الحقيقي والذي يخشى الله تعالى على الدوام ويخافه ورغم علمه بأن رحمته عز وجل واسعة؛ يبقى دائماً خائفاً أن يبعده عن رحمته أي عملٍ من أعماله. فإذا كانت حالة المؤمن هكذا فسوف تنزل عليه أمطار فضل الله تعالى أكثر من الآخرين.

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام ما معناه: "إن الإنسان بكل ظروفه ظاهرة كانت أم خفية، وسواء علمها أم لم يعلمها.. يجب أن يبقى مستغفراً لذنوبه على الدوام. لذا ينبغي أن ندعو دعاء سيدنا "آدم": ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. إن هذا الدعاء قد سبق أن استجيب. إن المؤمن إذا كان يجب أن يقلق من ناحية؛ فمن ناحية أخرى يجب أن يبقى ذاكراً لرحمة الله تعالى حيث علمنا الدعاء لنيل رضوانه ورحمته.

فإن الله تعالى قد طمأن المؤمن حيث قال تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر: ٥٤). وقال تعالى: ﴿وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (يوسف: ٨٨).

فإن الحديث الشريف السابق لا يدفع إلى اليأس والقنوط؛ إنما يشرح الرحمة وأن هناك عند الله تعالى تسعة وتسعون جزءاً من الرحمة.. وأنكم سوف تنالون حظاً منها عندما تؤدون ما عليكم من أعمال.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ قَسَمَ مِنْهَا رَحْمَةً بَيْنَ جَمِيعِ الْخَلَائِقِ فِيهَا يَتَرَاهُمُونَ وَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ وَبِهَا تَعْطِفُ الْوُحُوشُ عَلَى أَوْلَادِهَا وَأَخَرَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ". (ابن ماجه - كتاب الزهد)

فمن شقاوة الإنسان ألا ينال تلك الرحمة.. لذا يجب أن نسأل الله تعالى دائماً رحمته.. وألا يصدر منا عن عمدٍ أي تصرف قد يؤدي بنا إلى الحرمان من رحمة الله تعالى.

ثم كيف يرحم الله عباده.. أقدم لكم مثلاً آخر ندرِك منه كيف علمنا النبي صلى الله عليه وسلم أن رحمة الله تعالى تسع كل شيء؛ فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا فِيمَنْ سَلَفَ أَوْ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَالَ كَلِمَةً بَعْنِي أَعْطَاهُ اللَّهُ مَالًا وَوَلَدًا فَلَمَّا حَضَرَتِ الْوَفَاةُ قَالَ لِبَنِيهِ أَيُّ أَبِي كُنْتُ لَكُمْ قَالُوا خَيْرِ أَبِي قَالَ فَإِنَّهُ لَمْ يَبْتَسِرْ (يدخر ويقدم) أَوْ لَمْ يَبْتَسِرْ (يدخر ويقدم) عِنْدَ اللَّهِ خَيْرًا وَإِنْ يَقْدِرُ اللَّهُ عَلَيْهِ يُعَذِّبُهُ فَاَنْظُرُوا إِذَا مِتُّ فَأَحْرِفُونِي حَتَّى إِذَا صِرْتُ فَحَمًّا فَاسْحَقُونِي أَوْ قَالَ الْإِسْكَندَرِيَّةُ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ رِيحِ عَاصِفٍ فَأَذْرُونِي فِيهَا فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَأَحْذِ مَوَاتِقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَرَبِّي فَفَعَلُوا ثُمَّ أَذْرُوهُ فِي يَوْمِ عَاصِفٍ فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كُنْ فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ قَائِمٌ قَالَ اللَّهُ أَيُّ عَبْدِي مَا حَمَلَكَ عَلَيَّ أَنْ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ قَالَ مَخَافَتِكَ أَوْ فَرَقُ مِنْكَ قَالَ فَمَا تَلَفَاهُ أَنْ رَحِمَهُ عِنْدَهَا". (البخاري - كتاب الرقاق).. أي إذا كنت تخافني إلى هذه الدرجة؛ فأنا أجزيك برحمتي وأغفر لك وأرحمك.

وفي حديث آخر عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً

أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿الزمر: ٥٤﴾.

ثم انظروا كيف كان أسلوب الذي كان رحمةً للعالمين ﷺ مع صحابته.. وكيف كان يحاول تقوية إدراكهم لصفة الله "الرحمن" .. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان رجل من الأنصار ثم رسول الله ﷺ ومعه صبي له قال فجعل يضمه إليه ويرحمه فقال له رسول الله ﷺ: "أترحمه". قال نعم يا رسول الله قال ﷺ: "فالله أرحم به منك وهو أرحم الراحمين". (شعب الإيمان- البيهقي، الأدب المفرد رقم الباب ١٧٥)

ففي هذه الأيام قد لا يشعر أحد بهذه القسوة في المعاملة حتى مع الأبناء.. ولكن الذين يعرفون أحوال المجتمع العربي في ذلك الوقت؛ فإنهم يدركون كيف كان العناد والقسوة في طبائعهم. فقبل بعثة النبي ﷺ كان الرجل نادرًا ما يشعر بهذه الرحمة أو يُقبل أطفاله.. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال دَخَلَ عُمَيْيَةُ بْنُ حِصْنٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَأَاهُ يُقْبَلُ حَسَنًا أَوْ حُسَيْنًا فَقَالَ لَهُ لَا تُقْبَلُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ وُلِدَ لِي عَشْرَةٌ مَا قَبَّلْتُ أَحَدًا

قَرِيَّةٍ كَذَا وَكَذَا فَاعْبُدْ رَبَّكَ فِيهَا قَالَ فَخَرَجَ إِلَى الْقَرِيَّةِ الصَّالِحَةِ فَعَرَضَ لَهُ أَجَلُهُ فِي الطَّرِيقِ قَالَ فَاحْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ قَالَ فَقَالَ إبليسُ أَنَا أَوْلَى بِهِ إِنَّهُ لَمْ يَعْنِنِي سَاعَةً قَطُّ قَالَ فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ إِنَّهُ خَرَجَ تَائِبًا .. فَبَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ مَلَكًا فَاحْتَصَمُوا إِلَيْهِ.. فَقَالَ انظُرُوا أَيُّ الْقَرِيَّتَيْنِ كَانَ أَقْرَبَ إِلَيْهِ فَأَلْحَقُوهُ بِأَهْلِهَا. قَالَ قَتَادَةُ فَحَدَّثَنَا الْحَسَنُ قَالَ لَمَّا عَرَفَ الْمَوْتَ احْتَفَزَ بِنَفْسِهِ فَقَرَّبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ الْقَرِيَّةَ الصَّالِحَةَ وَبَاعَدَ مِنْهُ الْقَرِيَّةَ الْخَبِيثَةَ فَأَلْحَقُوهُ بِأَهْلِ الْقَرِيَّةِ الصَّالِحَةِ". (مسند أحمد)

فهذه هي رحمة الله تعالى.. ولكن يجب ألا يغيب عن البال أن الذين يصرون على الذنوب بعناد قد بشرهم بعذاب. فمن أجل جذب أفضل الله تعالى ورحمته؛ لا بد من السفر في هذا الطريق وحث الخطي على ذلك.. حيث يجب أن يشعر الإنسان بالذنب إذا اقترفه.. ولتولد عنده الرغبة في طلب المغفرة من الله تعالى. عندئذ يمكن أن يرجو الإنسان رحمة ربه.. كما جاء في قوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى

وَتَسْعِينَ إِنْسَانًا ثُمَّ خَرَجَ يَسْأَلُ فَأَتَى رَاهِبًا فَسَأَلَهُ فَقَالَ لَهُ هَلْ مِنْ تَوْبَةٍ قَالَ لَا فَقَتَلَهُ فَجَعَلَ يَسْأَلُ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ آتَيْتَ قَرِيَّةً كَذَا وَكَذَا فَأَذْرَكَهُ الْمَوْتُ فَنَاءَ بِصَدْرِهِ نَحْوَهَا فَاحْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ تَقْرَبِي وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ تَبَاعِدِي وَقَالَ قَيْسُوا مَا بَيْنَهُمَا فَوُجِدَ إِلَى هَذِهِ أَقْرَبَ بِشِبْرِ فُغْفِرَ لَهُ". (البخاري- كتاب أحاديث الأنبياء).. وفي رواية أخرى: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَا أُحَدِّثُكُمْ إِلَّا مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَمِعْتُهُ أُذْنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي: "أَنَّ عَبْدًا قَتَلَ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ نَفْسًا ثُمَّ عَرَضَتْ لَهُ التَّوْبَةُ فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فُدِّلَ عَلَى رَجُلٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ إِنِّي قَتَلْتُ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ بَعْدَ قَتْلِ تِسْعَةِ وَتِسْعِينَ نَفْسًا؟ قَالَ فَانْتَضَى سِنْفَهُ فَقَتَلَهُ بِهِ فَأَكْمَلَ بِهِ مِائَةً ثُمَّ عَرَضَتْ لَهُ التَّوْبَةُ فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فُدِّلَ عَلَى رَجُلٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ إِنِّي قَتَلْتُ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ اخْرُجْ مِنَ الْقَرِيَّةِ الْخَبِيثَةِ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا إِلَى الْقَرِيَّةِ الصَّالِحَةِ

مِنْهُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ". (مسند أحمد)

وفي رواية أخرى عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ قَدِمَ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا أَتُقْبَلُونَ صِبْيَانَكُمْ فَقَالُوا نَعَمْ فَقَالُوا لَكِنَّا وَاللَّهِ مَا نُقْبَلُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "وَأَمْلِكُ إِنْ كَانَ اللَّهُ نَزَعَ مِنْكُمْ الرَّحْمَةَ". (مسلم - كتاب الفضائل)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى مَنبَرِهِ يَقُولُ: "ارْحَمُوا تُرْحَمُوا وَاغْفِرُوا يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَيُلْ لِأَقْمَاعِ الْقَوْلِ (الذين يسمعون القول ولا يعملون به) وَيُلْ لِلْمُصْرَبِينَ الَّذِينَ يُصِرُّونَ عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ". (مسند أحمد بن حنبل، مسند المكثرين من الصحابة)

فهذه الشقاوة التي ذكرها رسول الله ﷺ وكما سبق أن ذكرتها لكم في الخطبة السابقة على ضوء شرح المسيح الموعود ﷺ للآية الكريمة: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.. إنما هي بسبب الإصرار على الإثم.. وهذا ما يجعل الإنسان يُحرم من رحمانية الله تعالى.

عن جرير بن عبد الله عن أبيه ﷺ

قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَرْحَمُ مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ". (صحيح البخاري، كتاب التوحيد).. لذا يجب أن تراعى العلاقات فيما بينكم.. أي صلوات الرحم وصلوات الصداقة وصلوات الجوار وأن تؤدوا حقوق هذه الصلوات. يجب أن يكون في قلوبكم مشاعر الرحمة.

وبهذا الخصوص أودّ أن أشرح وأوضح مسألة لأنني عندما أتناول موضوع الرحمة؛ فإن الذين يتعرضون للعقوبة من قبل نظام الجماعة فإنهم عندما يسمعون هذه الأحاديث النبوية الشريفة يكتبون إليّ ويقولون لماذا نحن لا نُرحم بحسب هذه الأحاديث؟ فأقول لهم إن النبي ﷺ كان ينصح بصفة عامة وللمجتمع كله بالرحمة فيما بين الناس وأيضاً فيما بين الخليفة والناس وقال: "تراحموا".. ولكن الذين يصرون على خطأ ما كما سبق وبيّنت؛ فإنهم عندما يتعرضون للعقوبة فلا بد من أن يتحملوا تلك العقوبة.

في إحدى الغزوات عندما تأخر بعض الصحابة عن تلبية نداء النبي ﷺ رغم صحتهم - أي رغم عدم وجود عذر لهم-؛ عاقبهم النبي ﷺ

بقطع العلاقات الإجتماعية معهم.. حتى أنه ﷺ قد أمر أزواجهم أن ينقطعن عنهم. ومن بين هؤلاء الثلاثة كان هناك شيخ هرم وصار هزياً وضعيفاً بسبب هذه العقوبة وكان يلازم السرير يبكي ويستغفر طول اليوم.. فحضرت زوجته للنبي ﷺ واستأذنته أن تهبى له الطعام.. فعندما عرف النبي ﷺ أن هذه حاله وأنه يلازم السرير من شدة الضعف وأنه يبكي ويستغفر طوال الوقت.. ولأنه ﷺ كان رحمةً للعالمين.. لذا فإنه ﷺ أذن لها. ولكن النبي ﷺ أبقى العقوبة إلى أن نزل العفو عنهم من الله تعالى. لذا فإن الذين يُعاقبون يجب عليهم أن يراعوا ألا يصروا على خطأهم؛ فإذا أصروا فعليهم أن يتحملوا العقوبة وألا يذكروا هذه الرحمة لأنهم بذلك يتكلمون عن الحقوق فقط ولا يذكرون الواجبات التي عليهم. فهناك أحياناً يحدث مخالفات لنظام الجماعة؛ لذا لا بد لتدارك مثل هذا الخرق من العقوبة بهدف الإصلاح.. ويجب أن تفهموا ذلك.

عَنْ زُرْبِيٍّ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ يَقُولُ جَاءَ شَيْخٌ يُرِيدُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَبْطَأَ الْقَوْمُ عَنْهُ أَنْ يُوسَّعُوا لَهُ فَقَالَ

لذا ينبغي أن نعمل ونستجيب لكل أوامره ونصائحه لنرث دعواته ونستفيد منها الأمر الذي يخلق في المجتمع جو المحبة والمودة.

يُصْبِحُ وَلَا يُمَسِّي إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ
عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ. وَذَكَرَ الْبُخْلَ
وَالْكَذِبَ وَالشُّنْظِيرَ الْفَاحِشَ". (مسند
أحمد)

وَعَنْ الثُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قَالَ قَالَ
النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَلَى الْمَنِيرِ: "مَنْ لَمْ يَشْكُرِ
الْقَلِيلَ لَمْ يَشْكُرِ الْكَثِيرَ وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ
النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ التَّحَدَّثُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ
شُكْرٌ وَتَرْكُهَا كُفْرٌ وَالْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ
وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ". (مسند أحمد).. فمن
نعمة الله تعالى علينا التي يجب أن
نشكره عليها أنه جعلنا من جماعة
المسيح الموعود عليه السلام في هذا الزمن
فلنا رحمة الله. وإسداءً للشكر على
نعمة الله علينا هذه يجب أن نؤدي ما
تتطلبه منا عواطف الرحمة للإنسانية
وهو أن نوصل دعوة المسيح الموعود
عليه السلام إلى جميع الناس في كل أنحاء
العالم. كذلك يجب أن ندعو لهم
أيضاً أن يهديهم الله تعالى إلى الصراط

وَجَلَّ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَّتَهُمْ
عَجَمِيَّتُهُمْ وَعَرَبِيَّتُهُمْ إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ وَقَالَ إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَتْلِيكَ
وَأَتْلِي بِكَ وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا
يَغْسِلُهُ الْمَاءُ تَقْرُؤُهُ نَائِمًا وَيَقْطَانًا ثُمَّ
إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنِي أَنْ أُحْرِقَ
قُرَيْشًا فَقُلْتُ يَا رَبِّ إِذَنْ يَنْلَعُوا رَأْسِي
فَيَدْعُوهُ حُجْبَرَةٌ فَقَالَ اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا
اسْتَخْرِجُوكَ فَأَغْزُهُمْ نَعْرَكَ وَأَنْفِقْ
عَلَيْهِمْ فَسَنُنْفِقَ عَلَيْكَ وَابْعَثْ جُنْدًا
نَبَعْتُ خَمْسَةَ مِثْلَهُ وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ
مَنْ عَصَاكَ وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو
سُلْطَانٍ مُقْسِطٍ، مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ،
وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي
قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَرَجُلٌ فَفِيرٌ عَفِيفٌ
مُتَصَدِّقٌ وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةُ الضَّعِيفِ
الَّذِي لَا زَبْرَ لَهُ الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا
أَوْ تَبَعَاءَ شَكَّ يَحْيَى لَا يَتَّعُونَ أَهْلًا
وَلَا مَالًا وَالْخَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ
طَمَعٌ وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ وَرَجُلٌ لَا

النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "لَيْسَ مِمَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ
صَغِيرَنَا وَيُوقِّرْ كَبِيرَنَا". (الترمذي -
كتاب البر والصلة).. لقد نبهت
إلى هذا من قبل.. حيث لاحظت
في أحد المجالس أن المسنين كانوا
واقفين والصغار جالسين على
المقاعد. فهذا النصح النبوي يجب أن
ينته به إليه الأحمديون كبارًا وصغارًا
رجالًا ونساءً.. يجب أن يرى في جميع
الأحمديين هذا الخلق.. وعندئذ سوف
ننال حظًا من دعوات النبي صلى الله عليه وسلم.. حيث
قال صلى الله عليه وسلم: "لَيْسَ مِمَّا"؛ فالذي ليس منه
صلى الله عليه وسلم كيف يمكن أن يرث دعواته. لذا
ينبغي أن نعمل ونستجيب لكل أوامره
صلى الله عليه وسلم ونصائحه لنرث دعواته ونستفيد
منها الأمر الذي يخلق في المجتمع جو
المحبة والمودة.

ثم في رواية عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ
رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم خَطَبَ ذَاتَ يَوْمٍ
فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ: "إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ
أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُم مَّا جَهِلْتُمْ مِمَّا
عَلَّمَنِي فِي يَوْمِي هَذَا كُلِّ مَالٍ نَحَلْتُهُ
عِبَادِي حَلَالٌ وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي
حُنَفَاءَ كُلُّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ
فَأَضَلَّتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَمَتْ عَلَيْهِمْ
مَّا أَحَلَّتْ لَهُمْ وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا
بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ

المستقيم وإلى معرفة الحق والثبات عليه.

أما فيما يتعلق بحب المؤمنين فيما بينهم وتلك المعايير التي يجب أن يكون عليها المؤمنون وماذا كان النبي ﷺ يتوقع منّا.. يبدو ذلك من حديث النبي ﷺ عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: "ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى". (البخاري- كتاب

الأدب).. هذا ما يجب أن يكون عليه المؤمنون فيما بينهم.. وبدلاً من إيذاء الآخرين وعدم الشعور بمصاعبهم ومشاكلهم؛ ينبغي الإحساس بمشاكل ومصاعب الآخرين والدعاء لهم. وهذا هو المجتمع الإسلامي الذي علمنا سيدنا رسول الله ﷺ ونصحنا أن ننفذه في أنفسنا بناءً على رحمة الله تعالى.

ثم هناك بعض الأحاديث التي تبين لنا كيف كانت رحمة النبي ﷺ بالحيوانات أيضاً.. فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: "من رحم ولو ذبيحة رحمه الله يوم القيامة". (الأدب المفرد- البخاري)..

فمن مقتضى الرحمة بالذبيحة أيضاً أن يكون السكين حاداً وأن تُذبح الذبيحة بسرعة حتى لا تتأذى.

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَأَذْبِحُ الشَّاةَ وَأَنَا أَرْحَمُهَا أَوْ قَالَ إِنِّي لَأَرْحَمُ الشَّاةَ أَنْ أذْبِحَهَا فَقَالَ ﷺ: "وَالشَّاةُ إِنْ رَحِمْتَهَا رَحِمَكَ اللَّهُ". (مسند أحمد)

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْزِلًا فَأَنْطَلَقَ إِنْسَانٌ إِلَى غَيْصَةِ (موضع يكثر فيه الشجر) فَأَخْرَجَ مِنْهَا بَيْضَ حُمْرَةٍ (طائر صغير كالعصفور) فَجَاءَتْ الْحُمْرَةُ تَرْفُ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرُءُوسِ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: "أَيُّكُمْ فَجَعَ هَذِهِ" فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ أَنَا أَصَبْتُ (أخذت) لَهَا بَيْضًا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "رُدَّه رَحْمَةً لَهَا". (مسند أحمد)

كذلك هناك رواية مفادها أن النبي ﷺ عرف أن هناك ناقة يحملها صاحبها أكثر من طاقتها فمنع صاحبها عن ذلك ونصحها أن يرفق بها.

في زمن النبي ﷺ كان بعض الناس يأتونه وبدون أن يراعوا مكانته من الرحمة وكونه رحمةً للعالمين فكانوا

يطلبون منه في بعض الأحيان أن يدعو على شخص معين أو قبيلة ما. والنبي ﷺ كان لا يعير اهتماماً لمثل هذا الطلب فحسب؛ بل كان ينصح صاحب مثل هذا الطلب بكل حكمة وتودد ويوجهه للخير دائماً.. وكان ﷺ يدعو لمن كان الطلب بالدعاء عليه. فعن ميناء مولى عبد الرحمن بن عوف قال سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول كُتِبَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَجَاءَ رَجُلٌ أَحْسَبُهُ مِنْ قَيْسِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ الْعَن حَمِيرًا فَأَعْرَضَ عَنْهُ ثُمَّ جَاءَهُ مِنَ الشَّقِّ (الجهة) الْآخَرَ فَأَعْرَضَ عَنْهُ ثُمَّ جَاءَهُ مِنَ الشَّقِّ الْآخَرَ فَأَعْرَضَ عَنْهُ ثُمَّ جَاءَهُ مِنَ الشَّقِّ الْآخَرَ فَأَعْرَضَ عَنْهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "رَحِمَ اللَّهُ حَمِيرًا أَفَوَاهُهُمْ سَلَامٌ وَيَأْيِدِيهِمْ طَعَامٌ وَهُمْ أَهْلُ أَمْنٍ وَإِيمَانٍ". (الترمذي- كتاب المناقب)

فانظروا بأي حكمة وموعظة حسنة أصلح سيدنا رسول الله ﷺ هذا الشخص القادم إليه يطلب الدعاء على قبيلة ما.. وكيف نصحه ووجهه للدعاء لهم بدلاً من أن يدعو عليهم لأن هذه هي الحسنة.. وهذه هي المعاملة التي يجب أن تكون من المؤمنين والتي تؤدي إلى تزايد الحب

فبعد مشاهدة هذا الكشف في صغره ﷺ؛ فإن الله تعالى قد ملأ قلبه الطاهر ﷺ بعواطف الحب والرحمة التي ما زالت تتقوى إلى أن بلغت ذروتها عند تلقيه النبوة.

الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمًّا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا
وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا".
(الترمذي-كتاب الدعوات)

إن هذا الدعاء يجب أن يدعو به الإخوة كثيراً وخاصة هؤلاء الذين هم في بلاد يحكمها حكام ظالمون ويصبون المصاعب والمشاكل والمظالم والاضطهادات على الأحمديين. ندعو الله تعالى أن ينجيهم من هذه المظالم والاضطهادات حتى يستطيع الأحمديون أن يعيشوا بحرية مقيمين شعائر الله تعالى.

والآن أقدم لكم بعض الأحداث التي حدثت في حياة سيدنا رسول الله ﷺ تذكر صفة الرحمان.. عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ جَرِيًّا عَلَى أَنْ يَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ شَيْءٍ لَا يَسْأَلُهُ عَنْهَا غَيْرُهُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَوَّلُ مَا رَأَيْتَ فِي أَمْرِ النَّبِيِّ فَاسْتَوَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسًا وَقَالَ: "لَقَدْ سَأَلَتْ أَبَا هُرَيْرَةَ إِنِّي لَفِي صَحْرَاءِ ابْنِ

إذا كان الإنسان من ناحية يسأل الله تعالى فضله ورحمته ومن ناحية أخرى يصر على الظلم ولا يكف عنه؛ فلا تستجاب دعوات مثل هذا الشخص ولا ينال فضل الله تعالى ورحمته. فإذا دعوت الله تعالى وطلبت رحمته وفضله فسوف توفقون للأعمال الصالحة أيضاً.

وهناك دعاء آخر لسيدنا رسول الله ﷺ.. عَنْ خَالِدِ بْنِ أَبِي عِمْرَانَ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُوَ بِهِؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ لِأَصْحَابِهِ: "اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعْصِيكَ وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّاتِكَ وَمِنَ الْبَاقِينَ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوتِنَا مَا أَحْيَيْنَا وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا وَانصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا وَلَا تَجْعَلْ

وتقوي أواصر المحبة فيما بينهم.. وبذلك ينشر الإنسان المحبة في الآخرين.

هناك دعاء علمنا إياه سيدنا رسول الله ﷺ للفوز برضا الله تعالى.. فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَنْ قَالَ لِلَّهِمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ إِنِّي أَعْهَدُ إِلَيْكَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا أَنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحَدِّكَ لَا شَرِيكَ لَكَ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ فَإِنَّكَ إِنَّ تَكَلَّمْتَنِي إِلَى نَفْسِي تُقَرِّبْنِي مِنَ الشَّرِّ وَتُبَاعِدْنِي مِنَ الْخَيْرِ وَإِنِّي لَا أَتَّقِي إِلَّا بِرَحْمَتِكَ فَاجْعَلْ لِي عِنْدَكَ عَهْدًا تُوفِّينِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ إِلَّا قَالَ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ عَبْدِي قَدْ عَاهَدَ إِلَيَّ عَهْدًا فَأَوْفُوهُ إِيَّاهُ فَيُدْخِلْهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ".
(مسند أحمد)

إن هذا الدعاء أو العهد يوجهنا إلى ضرورة أن نحاسب أنفسنا أيضاً. فإذا كان الإنسان يسأل الله تعالى عفوه ورحمته وفضله؛ فلا بد له من أن يتوجه إلى الأعمال الصالحة التي تجلب مرضاة الله تعالى.. رغم أنه مما لا شك فيه أنه تبقى في بعض الأحيان بعض العيوب والنقائص في أعمال العبد. أما

عَشْرٍ سِنِينَ وَأَشْهُرٍ وَإِذَا بِكَلَامٍ فَوْقَ رَأْسِي وَإِذَا رَجُلٌ يَقُولُ لِرَجُلٍ أَهْوَى هُوَ قَالَ نَعَمْ فَاسْتَقْبَلَانِي بِوُجُوهِ لَمْ أَرَهَا لِخَلْقٍ قَطُّ وَأَرْوَاحٍ لَمْ أَجِدْهَا مِنْ خَلْقٍ قَطُّ وَثِيَابٍ لَمْ أَرَهَا عَلَى أَحَدٍ قَطُّ فَأَقْبَلَا إِلَيَّ يَمْسِحَانِ حَتَّى أَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بَعْضِي لَا أَجِدُ لِأَحَدِهِمَا مَسًّا فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ أَضَجِعْهُ فَأَضَجَعَانِي فُسْتَانٍ قَصْرٍ وَلَا

هَضْرٍ وَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ أَفَلِقَ صَدْرَهُ فَهَوَى أَحَدُهُمَا إِلَى صَدْرِي فَفَلَقَهَا فِيمَا أَرَى فُسْتَانٍ دَمٍ وَلَا وَجَعَ فَقَالَ لَهُ أَخْرِجِ الْعِغْلَ وَالْحَسَدَ فَأَخْرَجَ شَيْئًا كَهَيْئَةِ الْعَلَقَةِ ثُمَّ نَبَذَهَا

فَطَرَحَهَا فَقَالَ لَهُ أَدْخِلِ الرَّأْفَةَ وَالرَّحْمَةَ فَإِذَا مِثْلُ الَّذِي أَخْرَجَ يُشْبِهُ الْفِضَّةَ ثُمَّ هَزَّ إِبْهَامَ رَجُلِي الْيُمْنَى فَقَالَ اغْدُ وَأَسْلَمْ فَرَجَعْتُ بِهَا أَغْدُو رِقَّةً عَلَى الصَّغِيرِ وَرَحْمَةً لِلْكَبِيرِ". (مسند أحمد).. فبعد مشاهدة هذا الكشف في صغره ﷺ؛ فإن الله تعالى قد ملى قلبه الطاهر ﷺ بعواطف الحب والرحمة التي ما زالت تتقوى إلى أن بلغت ذروتها عند تلقيه النبوة.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ

ﷺ قَالَ كَانَ إِبْرَاهِيمُ مُسْتَرْضِعًا لَهُ فِي عَوَالِي الْمَدِينَةِ فَكَانَ يَنْطَلِقُ وَنَحْنُ مَعَهُ فَيَدْخُلُ الْبَيْتَ وَإِنَّهُ لَيُدَّخِنُ وَكَانَ ظَنُّرُهُ قَيْنًا فَيَأْخُذُهُ فَيَقْبَلُهُ ثُمَّ يَرْجِعُ قَالَ عَمْرُو فَلَمَّا تُوَفِّيَ إِبْرَاهِيمَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ ابْنِي وَإِنَّهُ مَاتَ فِي النَّدْيِ وَإِنَّ لَهُ لَطَطْرَيْنِ تُكَمِّلَانِ رَضَاعَهُ فِي الْجَنَّةِ". (مسلم- كتاب الفضائل)

"إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لِعَانًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً"

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ عَلَيَّ الْمُشْرِكِينَ قَالَ ﷺ: "إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لِعَانًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً". (مسلم- كتاب البر والصلة)

إذا عملت الأمة المسلمة هذه الأيام بهذه الأسوة للرحمة المهداة للعالمين ﷺ؛ وبدلاً من الظلم والاضطهاد؛ وبدلاً من الحروب الداخلية.. إذا تعامل أفراد الأمة الإسلامية فيما بينهم بالرحمة والشفقة والمواساة فهذا هو طريق النجاة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَدِمَ طُفَيْلٌ

ابْنُ عَمْرٍو الدَّوسِيُّ وَأَصْحَابُهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ دَوْسًا عَصَتْ وَأَبَتْ فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهَا فَيَقْبَلِ هَلَكْتَ دَوْسٌ قَالَ ﷺ: "اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ". (البخاري- كتاب الجهاد والسير).. وهكذا كانت عاطفة الرحمة عند النبي ﷺ.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيًّا يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرَضَ فَآتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعْوِذُهُ فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ: "أَسْلِمَ". فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ أَطْعَ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ فَأَسْلَمَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ".

(البخاري- كتاب الجنائز).. فالنبي ﷺ لكونه مليئاً بعواطف الرحمة؛ لم يتحمل أن ذلك الشخص الذي كان يخدمه أن يُعَذَّبَ بعذاب الله تعالى. فكان ﷺ يعامله معاملة حسنة ويدعوه إلى الإسلام ولكنه عندما أوشك على الموت؛ دعاه النبي ﷺ للإسلام خالصةً ليحسن عاقبته.. فأسلم. وعندئذ فرح النبي ﷺ لنجاة هذا الشاب.

إن المعارضين للإسلام الآن يقولون أن الإسلام قد انتشر بحد السيف. إن ما يقولونه هو من أجل الاعتراض

وإن جميع الناس الذين قبلوا الإسلام قد انضموا إليه بسبب رحمة النبي ﷺ وشفقته. ولكن إذا عميت عيون المعارضين وقست قلوبهم وأغلقت عقولهم فما الذي يقولونه عندئذٍ غير ذلك.

وبالرغم من ذلك يقول النبي ﷺ: "ولا أنا إلا أن يتعمدني ربي برحمته". فإنه ﷺ مع أن صلواته وعباداته وجميع أعماله الحسنة قد بلغت أعلى الدرجات بحيث لم ولن يستطيع أحد أن يصل إلى تلك المكانة.. ومع أن الله تعالى قد شهد له بأنه قد أوصل الحسنة إلى ذروتها.. ورغم ذلك يقول ﷺ: "ولا أنا إلا أن يتعمدني ربي برحمته".

لذا فمن أجل نيل رحمة الله تعالى وجلب فضله قد علمنا الله تعالى الأدعية في القرآن الكريم وكذلك النبي ﷺ قد علمنا تلك الأدعية التي يجب أن ندعو بها. إن رحمانية الله تعالى يجب أن تكون مدعاةً لخضوع الإنسان أمام الله تعالى.. وهذه هي ميزة المؤمن الحقيقي. وفقنا الله تعالى جميعاً لذلك. آمين

الصفة فحسب؛ بل في جميع الصفات الأخرى أيضاً قد بلغت أسوة النبي ﷺ ذروتها. ثم من جانب آخر كان ﷺ يخشى الله تعالى إلى حد كبير بحيث قد ورد عن أبي هريرة ؓ أن النبي ﷺ قال: "ما من أحدٍ يُدخِلُه عمله الجنة". فقيلَ ولا أنتَ يا رسولَ الله ﷺ قال ﷺ: "ولا أنا إلا أن يتعمدني ربي برحمته". (مسلم- كتاب صفة الجنة والقيامة والنار)

فانظروا إلى ذلك الإنسان العظيم الذي كانت كل لحظة من حياته تنقضي في التقرب من الله تعالى والوصول إليه ونيل رضاه.. حتى أن الله تعالى قد أعلن في القرآن الكريم بلسان رسول الله ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (سورة الأنعام: ١٦٣).. أي أن كل لحظة من حياتي هي وقفٌ لله تعالى.

فقط.. فهناك الكثير والكثير جداً من الأحداث التي لا يشوبها أي شائبة من القسوة أو الإكراه في حياته الطاهرة ﷺ. وإن جميع الناس الذين قبلوا الإسلام قد انضموا إليه بسبب رحمة النبي ﷺ وشفقته. ولكن إذا عميت عيون المعارضين وقست قلوبهم وأغلقت عقولهم فما الذي سوف يقولونه عندئذٍ غير ذلك.

ثم لننظر إلى أسوة النبي ﷺ تجاه الصغار.. فعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال كان نبي الله ﷺ يأخذني فيقعدني على فخذه ويقعد الحسن بن علي على فخذه الأخرى ثم يضمنا ثم يقول: "اللهم ارحمهما فإني أرحمهما". (مسند أحمد)..

هذه بعض النماذج التي من خلالها وجّه النبي ﷺ الناس إلى معرفة الله "الرحمن".. وكيف يجب أن يتعامل الناس فيما بينهم بالرحمة والشفقة. إن النبي ﷺ قد ضرب بأسوته مثلاً علياً أدت إلى إعطاء الفهم والمعرفة الحقيقية لعباد الله إلى معرفة الله تعالى. ولأن الله تعالى قد أرسله رحمة للعالمين؛ فإن النبي ﷺ قد أدى حق هذا الواجب من خلال تعاليمه وأسوته الحسنة أيضاً.. وهذا ليس فيما يتعلق بهذه



مسير رسول الله إلى مكة في عشرة آلاف من أتباعه

في العام الثامن للهجرة في شهر رمضان (ديسمبر/كانون الأول سنة ٦٢٩ ميلادية) خرج الرسول ﷺ في طريقه إلى آخر حملة غرست أعمدة الإسلام عميقاً في أرض الجزيرة العربية.

في الحديبية تم الاتفاق بين الرسول ﷺ والمشركين على أن يُسمح للقبائل العربية الأخرى بالانضمام لحلف يضمهم مع المشركين أو مع المسلمين على السواء، وأُتفق أيضاً على إيقاف الحرب عشر سنوات بين الطرفين ما لم ينقض أحدهما أو المتحالفون معه الاتفاق بالهجوم على الطرف الآخر، وفي إطار هذا الاتفاق دخلت بنو بكر في حلف مع مكة، ودخلت خزاعة في حلف مع الرسول ﷺ.

ولما كان احترام المشركين العرب للمعاهدات ضئيلاً، خاصة معاهداتهم مع المسلمين، حدث أن كان بين بني بكر وخزاعة ثارات قديمة، فاستشارت بنو بكر بعض أهل مكة أن يعينوهم لأخذ ثأرهم من خزاعة، وبرروا لهم طلبهم بأن خزاعة قد تخلت عن حذرهما بعد توقيع معاهدة

"إنها النبوة، لا الملك"

حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد ﷺ

الخليفة الثاني لحضرة الإمام المهدي ﷺ

إن حياة نبي الإسلام ﷺ كتاب مفتوح كلما بحث في أي جزء منه تجد فيه تفاصيل تثير الاهتمام وتخلب اللب. ولم يحدث أن تم تسجيل وقائع حياة نبي أو حياة معلم آخر تسجيلاً دقيقاً ومتاحاً للدارسين، مثل حياة الرسول العظيم ﷺ. وصحيح أن هذه الغزارة في الحقائق والمرويات المدونة، قد أعطت النقاد الماكرين فرصتهم المنتظرة، ولكن من الصحيح أيضاً أنه حين تتم دراسة الانتقادات بعناية، ويتم الرد الحاسم عليها، فإن ما تثيره فينا حياة الرسول ﷺ من الإيمان والحب الغامر والتقوى، لا يماثلها فيه حياة أي شخص آخر.

إن الحياة الغامضة التي لا يعرف الناس شيئاً عن تفاصيلها قد تسلم من النقد، ولكنها لا تفلح في بث الإقناع وزرع الثقة في قلوب من يتبع أصحابها. إذ تظل صعوبات الغموض، وظلمات الحيرة، وخيبة الأمل، قابعة في القلوب. ولكن الحياة الغنية بالتفاصيل المدونة، مثل حياة الرسول ﷺ، تثير فينا التأمل العميق ومن ثم تثبت الإقناع. وعندما يتم تصفية الحسابات الخاطئة للانتقادات والمفاهيم الزائفة، بكشف الحقائق وتسليط الأضواء عليها، فمن المحتم أن تجذب حياة الرسول ﷺ منّا كل حب وإعجاب وتقدير، وتثير فينا كل إعزاز وإكبار وتوقير، بشكل كامل ودائم وإلى الأبد.

تلك هي عزيز القارئ أهم ملامح هذا الكتاب القيم الذي ستطالعه عبر حلقات في هذه الزاوية. والجدير بالذكر في هذا المقام أنه من الصعب تقديم ملخص كامل متوازن لحياة كحياة الرسول ﷺ، التي كانت واضحة كالكتاب المفتوح، وشديدة الثراء بما تحويه من وقائع ومواقف وأحداث. وقد أعطى المؤلف لمحة، ولكن حتى هذه اللمحة لها وزن وثقل. حيث أنه ﷺ كان يمارس ما يعظ به، وكان يعظ بما كان يمارسه؛ وإذا عرفته فقد عرفت القرآن المجيد، وإذا عرفت القرآن المجيد فيمكنك أن تتعرف عليه.

لقد حصل شرف نقل هذا الكتاب إلى لغة الضاد للأستاذ الفاضل فتحي عبد السلام وراجعته ثلة من أبناء الجماعة المتضلعين في اللغة والدين.



وعندما دخل الجيش بريّة فاران بعد انقضاء عدة أيام قلائل، كان عدد المسلمين هو نفسه التي تنبأ به النبي سليمان من قبل، بعد أن تضخم حتى بلغ عشرة آلاف.

مكة. فأقنعوا أبو سفيان بالخروج مرة أخرى ليتبين نيات المسلمين، فخرج ليجد كل الفلاة وقد أضاءتها نيران المعسكرات على مسيرة أقل من يوم من مكة. كان الرسول ﷺ قد أمر بإيقاد النار أمام كل خيمة، فكانت تلك النيران ذات لهب مخيف في ظلام الليل وسكونه.

وسأل أبو سفيان أصحابه: "ماذا يمكن أن يكون هذا؟ أهذا جيش هبط من السماوات؟ أنا لا أعرف جيشاً عربياً بهذه الضخامة". وذكر أصحابه أسماء بعض القبائل، ومع كل اسم كان أبو سفيان يقول إن تلك القبيلة أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها.

وبينما أبو سفيان ورفاقه يتأملون الأمر إذ صاح به صوت في الظلام: "أبا حنظلة". (حنظلة كان اسم ولد لأبي سفيان وكان يُكنى به). "العباس؟ أنت هنا؟ هكذا رد أبو

أيها الناس إني قد أجزت بين الناس، ولم يفهم سكان المدينة معنى لقوله، فضحكوا منه. (الزرقاني)

وقال الرسول ﷺ لأبي سفيان إن كلامه من طرف واحد، وإن الطرف الآخر لم يوافق عليه. وأرسل الرسول ﷺ إخطاراً إلى كل القبائل، ولما تأكد له أنها على أهبة الاستعداد، أمر المسلمين أن يقوموا بتسليح أنفسهم والاستعداد.

وفي أول يناير/كانون الثاني بدأ زحف جيش المسلمين نحو مكة، وعند محطات مختلفة على الطريق انضمت إليه القبائل المسلمة الأخرى. وعندما دخل الجيش بريّة فاران بعد انقضاء عدة أيام قلائل، كان عدد المسلمين هو نفسه التي تنبأ به النبي سليمان من قبل، بعد أن تضخم حتى بلغ عشرة آلاف. وعندما تحرك هذا الجيش نحو مكة بدا الصمت المخيم على كل مكان نذيراً بالويل والثبور لأهل

الحديبية وأحسّت بالأمن بعد حلفهم مع الرسول، فهذا هو الوقت الأنسب للانتقام منهم في مذبحه مريعة. ووافقهم أهل مكة، وانتهزوا فرصة الظلام ليشتبكوا في هجوم ليلي، ولقي كثير من رجال خزاعة مصرعهم، فأرسلت خزاعة وفداً من أربعين رجلاً على جمال سريعة ليخبروا الرسول ﷺ بخيانة قريش للاتفاق المعقود معه، وليناشدوه النصر على مكة انتقاماً لهذه المذبحة. والتقى الوفد مع الرسول ﷺ، وأخبرهم بجلاء قاطع أنه يعتبر مصابهم هو مصابه الخاص قائلاً للشاعر الذي كان في الوفد واستغاثه شعراً: "نصرت ياعمرو بن سالم، وأشار إلى سحابة تتجمع في السماء وقال: إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب". وخافت قريش العواقب، وأزعجها خبر وفد خزاعة إلى المدينة، فأرسلوا أبو سفيان سريعاً لتجديد الصلح منعاً لهجوم المسلمين. وبلغ أبو سفيان المدينة، وبدأ يبرر طلبه بأنه لم يكن موجوداً في عهد الحديبية، ولذا يلزم توقيع عقد سلام جديد. ورأى الرسول ﷺ أن ليس من الحكمة قبول العذر. واهتاج أبو سفيان وذهب إلى المسجد وأعلن:



في تلك الساعة المبكرة، فلم يكن من عادته هو ولا من عادة قومه أن يكونوا يقظين في هذا الصباح الباكر كما يفعل المسلمون بعد أن أصبحوا خاضعين لنظام الإسلام، ورأى المسلمين الذين هم في المعسكر جميعاً وقد أخذوا يتجهّزون لصلاتهم الصباحية، بعضهم يروح ويحجى بحثاً عن الماء للوضوء، والآخرون يشرفون على صف صفوف العابدين من أجل الصلاة. ولم يستطع أبو سفيان أن يستوعب فهم هذه الحيوية الباكرة في الصباح، وخطر بباله خاطر مخيف؛ هل كانت هذه خطة جديدة

لإدخال الرعب في قلبه؟ وسأل في ذهول وقلق بالغين: "ماذا يفعل كل هؤلاء؟" وأجاب العباس: "لا شيء يدعو إلى الخوف، إنهم يستعدّون للصلاة ليس إلا". ورأى أبو سفيان آلاف المسلمين وقد اصطفوا خلف رسول الله، يقتدون به ويفعلون مثلما يفعل، ركوعاً وسجوداً وقياماً، وهكذا. كان العباس في نوبة حراسته، لذلك كان حراً يمكنه أن يصحب أبا

الذي خرج من مكة منذ سنوات سبع، هارباً بدينه، قد عاد إلى مكة، وتقف أمامه مكة عاجزة كل العجز عن أن تقاوم عودته.

فتح مكة

ولعل أبا سفيان كان يتفكر بعجب: أليس هذا التغيير مذهلاً، إذ تم في سنوات سبع ليس إلا؟ وماذا عليه

فها هنا كان الرجل الذي نُفي من مكة ليس معه إلا صاحب واحد. لقد مرّت سبع سنوات صعبة منذ ذلك اليوم، وها هو الآن يدق أبواب مكة مع عشرة آلاف من أتباعه المخلصين.

الآن أن يصنع كقائد لمكة؟ أيقاوم.. أم أنّ عليه الاستسلام؟ وأزعجته هذه الخواطر حتى بدا للناظر إليه ما يعاينه من دهشة وذهول. وشاهد الرسول ﷺ هذا القائد المضطرب، فأمر العباس أن يذهب به وأن يستضيفه الليلة على وعد برؤيته في الغد، فأمضى أبو سفيان ليلته مع العباس. وفي الصباح استدعاهما رسول الله، وكان ذلك في وقت صلاة الفجر، وفوجئ أبو سفيان بفقرة النشاط والتحرّكات

سفيان وقد عرف الصوت. "نعم"، رد العباس، "إنه جيش الرسول جاءكم بما لا قبّل لكم به". كان العباس وأبو سفيان صديقين قديمين، وأصرّ العباس أن يحمل أبا سفيان على بغلته معه ليذهبها إلى الرسول ﷺ. وأمسك بيدي أبي سفيان وشده وجعله يركب الدابة، ثم همز البغلة التي انطلقت مسرعة لتصل إلى معسكر الرسول ﷺ. كان العباس يخشى أن يسقط عمر رضي الله عنه على أبي سفيان ويقتله، فقد كان عمر حارساً لخيمة الرسول ﷺ، ولكنه ﷺ على سبيل الاحتياط

كان قد أعطى أمره المعلن لكل من يلقي أبا سفيان ألا يحاول قتله. وأثرت هذه الأحداث في نفس أبي سفيان بعمق شديد، لقد هزّته رفعة الشأن التي نال منها الإسلام حظاً عظيماً. فها هنا كان الرجل الذي نُفي من مكة ليس معه إلا صاحب واحد. لقد مرّت سبع سنوات صعبة منذ ذلك اليوم، وها هو الآن يدق أبواب مكة مع عشرة آلاف من أتباعه المخلصين. لقد انقلبت المناضد تماماً، فالرسول

كانوا قساة على المسلمين، وأثبتوا أنهم لا عهد لهم، ونقضوا اتفاق السلام الذي عقده في الحديبية، وهاجموا خزاعة بوحشية، واستحلوا القتل في الحرم الذي عظم الله حرمة. فأجاب حكيم بن حزام: إنه لَحَقُّ كل ما قاله، فقد فعل القوم كل ذلك تمامًا. واقترح عليه أن يغزو هوازن بدلاً من مسيره إلى مكة.

وأجابه الرسول بما يفيد أن هوازن كذلك كانوا قساة وهمجيين، وأنه يأمل أن يمكنه الله تعالى من تحقيق أهداف ثلاثة: فتح مكة، وإشاعة الإسلام، وهزيمة هوازن.

إلى هذا الحد كان أبو سفيان جالساً ينصت، وحينئذ سأل أبو سفيان رسول الله: "إذا لم تسل مكة سيفاً فهل ينالون السلام؟" وأجابه الرسول ﷺ بالإيجاب، فمن أغلق عليه بابه فهو آمن. وهنا تدخل العباس قائلاً: "يا رسول الله. إن أبا سفيان رجل يحب الفخر، فاجعل له شيئاً".

قال: "نعم. من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن،

وأكرمك وأوصلك، لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره، لقد أغنى عني شيئاً بعد".

"ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أبي رسول الله؟" "بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأوصلك وأكرمك، أما هذه ففي النفس منها شيء".

وبينما كان أبو سفيان في تردده في

"حقاً! لقد رأيت عروشاً عظيمة، لقد رأيت بلاط كسرى وبلاط قيصر، ولكني لم أر شعباً يحب قائده ويخلص له كما يفعل المسلمون لنبيهم".

الاعتراف برسول الله كرسول لرب العالمين، دخل في الإسلام اثنان من أصحاب أبي سفيان الذين رافقوه في مسيرته من مكة للاستطلاع، كان أحدهما حكيم بن حزام. ولم يلبث أبو سفيان بعدها إلا قليلاً ثم دخل هو أيضاً في دين الإسلام، لكن إذعانه الداخلي تأخر إلى أن تم فتح مكة.

وسأل حكيم بن حزام الرسول ﷺ عما إذا كان المسلمون عازمين على قتل ذويهم في مكة؟ فأجابه بأنهم

سفيان، وأن يبادلوه الحوار. وسأل أبو سفيان: "ماذا هم فاعلون الآن؟" وأجابه العباس: "كل ما يفعله رسول الله يفعله الباقيون مثله. ما ظنك بهذا؟ إنهم يطيعون كل ما يأمرهم به لتوهم، حتى لو أمرهم بترك طعامهم وشراهم، فإنهم لفورهم يطيعون".

وأجاب أبو سفيان: "حقاً! لقد رأيت عروشاً عظيمة، لقد رأيت بلاط كسرى وبلاط قيصر، ولكني لم أر شعباً يحب قائده ويخلص له كما يفعل المسلمون لنبيهم". (السيرة الحلبية ج ٢ ص ٩٠) ومضى أبو سفيان يتساءل، وقد ملأه الخوف وتنازعه

الإحساس بالذنب لكل ما حدث، وأفزعته مشاعر الخوف على ما يمكن أن يحدث لقومه وأهله في مكة، فسأل عما إذا كان العباس محجماً عن طلب العفو أو المغفرة لقومه، يعني بهم أهل مكة؟؟ وانتهت صلاة الفجر، وقاده العباس إلى الرسول ﷺ.

وسأل رسول الله أبا سفيان: "ويحك يا أبا سفيان. ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟" وأجابه أبو سفيان: "بأبي أنت وأمي. ما أحلمك

ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن". وبعد إعلان هذه الكلمات نادى الرسول ﷺ أبا رويحة وسلمه راية الإسلام، وكان أبو رويحة الأنصاري قد تأخى مع بلال رضي الله عنه، ذلك العبد الحبشي الذي صار ما صار. وقال الرسول ﷺ وهو يسلمه الراية: "ومن قام تحت هذه الراية فهو آمن". وفي نفس الوقت وجه الرسول أمره إلى بلال أن يمضي أمام أبي رويحة منادياً لكل من يعنيه السلام أن هناك سلاماً تحت تلك الراية التي يحملها أبو رويحة.

رسول الله ﷺ يدخل مكة

كان كل شيء يمضي في ترتيب حكيم. عندما كان المسلمون يعذبون في مكة، كان بلال هدفاً سهلاً لهذا العذاب، فكان يُربط بجبل في قدميه ويُجرّ في طرقات البلدة. لم تعط مكة سلاماً لبلال، وكل ما ناله منها هو الآلام البدنية والمهانة والنكران، ولنا أن نتخيل مدى الرغبة في الانتقام التي كان بلال يحسّها تملأ قلبه في يوم عودته ذاك إلى مكة حُرّاً عزيزاً. وكان من الضروري أن ينال بلال

فرصة ليثأر لنفسه من القسوة الوحشية التي ذاقها في مكة، ولكن في الحدود التي أحاط بها الإسلام رغبة الانتقام هذه. فلم يسمح له الرسول بسبل سيفه وضرب أعناق الذين اضطهدوه من قبل، فلم يكن ذلك من الإسلام. ولكنه بدلاً من ذلك، أعطى الراية، راية الإسلام، إلى أخي بلال، وكلف بالآلاً بمهمة عرض السلام على معذبيه السابقين تحت الراية التي يحملها أخوه. فما أروع ذلك الانتقام وما أجمله! ولنتخيل صورة بلال يمشي بين يدي أخيه وهو يرفع صوته منادياً أعداءه إلى السلام، وإزاء ذلك لم تكن هناك فرصة لرغبته في الانتقام أن تدوم طويلاً، ولا بد أنها ذابت شيئاً فشيئاً وهو يتقدم منادياً أهل مكة إلى السلام تحت الراية التي يرفعها أخوه عالية خفاقة.

وأمر الرسول ﷺ العباس أن يأخذ أبا سفيان وصحبه إلى قمة مناسبة لاستعراض جيش الإسلام، ورؤية سلوكهم وشمائلهم. وفعل العباس ذلك، ومن زاوية مناسبة أمكن لأبي سفيان وصديقيه أن يروا القبائل العربية وهي تمر عليهم وتمضي عنهم، ومعها يمضي ذلك العهد الذي كان فيه أهل مكة يجمعون ويحشدون

للقضاء على الإسلام معتمدين على تلك القبائل نفسها التي تمر الآن جنوداً مجنّده للإيمان بدلاً من حشدها جنوداً للكفر، وإنهم الآن ليرفعون شعارات الإسلام لا شعارات أيام وثنيّتهم، إنهم ليزحفون في تشكيلات عسكرية ليضعوا حياتهم فداء للرسول ﷺ لا لكي يقضوا على حياته، يزحفون لا لسفك دمه بل لسفك دمائهم دفاعاً عنه. لم يكن طموحهم في هذا اليوم يرنو إلى مقاومة الرسالة النبوية والحفاظ على وهم قومي أجوف، يتصوّر رسالة الرسول ﷺ تهديداً له وخطراً مضاداً للقومية، بل كان طموحهم إلى حمل رسالة النور هذه إلى كل أنحاء العالم، تلك الرسالة التي طالما قاوموها، صار رجاءهم الآن هو تأسيس وحدة إنسانية وتضامن وأخوة تضم بني الإنسان.

وتمر الجموع والصفوف واحداً بعد الآخر، حتى لاحت جموع قبيلة "أشجع" لعيون أبي سفيان، وكان يمكن للرائي أن يلمح في وجوههم آثار الإخلاص والتضحية بالذات والحماس الفائق، ولذلك كان هذا الحماس محسوساً في نبرة تغنيهم وإنشادهم لشعارات الإسلام. ويسأل أبو سفيان: "من يكونون

هدد سعد وصحبه، دون أن يراعوا حرمة مكة، ورغب في عفو الرسول وغفرانه، وما عُرف عنه من احترامه للإنسانية.

ولم يذهب رجاء أبي سفيان أدرج الرياح. إن هؤلاء المسلمين المخلصين الذين تعودوا على الضرب والإهانة في طرقات مكة، وأرغموا بذلك على ترك ممتلكاتهم ومنازلهم في تلك البلدة، بدأت

تخالجهم مشاعر الرحمة نحو معذبيهم القدامى، حتى إنهم

كانوا يحشون أن تكون للقصص الرهيبة التي رواها المهاجرون للأنصار عن التعذيب الوحشي وعن الاضطهاد الذي ذاقوه على يد أهل مكة، آثاراً بالغة باقية مع الزمن بحيث تدفعهم إلى الانتقام من أهل مكة على ما اقترفت أيديهم، وهذا ما عبر عنه سعد بن عباد. وعبروا عن مخاوفهم لرسول الله الذي تفهم الموقف حالاً، والتفت إلى أبي سفيان ليبين له خطأ سعد ويصحح له الصورة المتوقعة، فلن يكون هذا يوم الانتقام، بل سيكون يوم الغفران. وأرسل إلى سعد يأمره أن يسلم راية الأنصار إلى ابنه قيس بن سعد، وهكذا انتقلت

إلى العباس خاصة وقال: "لقد أصبح مُلك ابن أخيك اليوم عظيماً".

ورد العباس: "يا أبا سفيان، إنها النبوة، لا المُلك".

قال أبو سفيان: "نعم نعم. إنها النبوة لا المُلك".

وخلال مرور جيش الإسلام على أبي سفيان، كانت راية الأنصار مع سعد بن عباد، فوقعت عيناه على

"يا أبا سفيان، إنها النبوة، لا المُلك"

أبي سفيان، ولم يستطع أن يقاوم كلمة اختلجت في نفسه فقال: "اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، اليوم أذل الله قريشاً". ولدى مرور الرسول ﷺ، رفع أبو سفيان صوته مخاطباً الرسول قائلاً: "يا رسول الله! ألم تسمع ما قال سعد؟ قال: "وما قال؟" فقال: "قال كذا وكذا". فقال عثمان وعبد الرحمن بن عوف: "يا رسول الله، ما نأمن أن يكون له في قريش صولة". فقال رسول الله بل اليوم يوم تعظم فيه الكعبة، اليوم يوم أعز الله فيه قريشاً. وهكذا عبر أبو سفيان للرسول ﷺ عن مخاوفه أن يسمح بمذبحة في عشيرته حسبما

هؤلاء؟

ويأتيه الجواب: "هذه قبيلة أشجع". وبدأ أبو سفيان مندهشاً وهو يقول: "لم يكن أحد أعدى لمحمد من هؤلاء".

ورد العباس عليه بأن الفضل لله في ذلك، لقد غير الله قلوب العدو عندما رآهم مستعدين لذلك ومؤهلين للتغيير.

وأخيراً، لاح مشهد الرسول ﷺ في كتيبه الخضر، محاطا بالمهاجرين والأنصار مصفوفين قريباً من ألفي

مدرّج، والفاروق عمر رضي الله عنه يوجه خطاهم نحو مكة. كان هذا المشهد هو الأكثر تأثيراً بين كل المشاهد. كان إخلاص هؤلاء المسلمين وتصميمهم وحماسهم يبدو وقد فاق كل الحدود، فائضاً فائزاً يتدفق غامراً، وعندما وقعت عين أبي سفيان عليهم ملأه الخضوع والخشوع لفوره، ولم يملك نفسه أن يسأل العباس قائلاً: "من كان هؤلاء؟"

ورد العباس: "هذا رسول الله في المهاجرين والأنصار".

وقال أبو سفيان: "ما لأحد بمؤلاء قبلاً ولا طاقة". ثم توجه بالخطاب

رجالاً وأربع نسوة، كانت الأعمال التي اقترفوها بشعة للغاية. لم تكن جرائمهم أنهم كفروا، أو أنهم شاركوا في حرب ضد الإسلام، بل كانت أعمالاً مجرمة، بربرية لا إنسانية، لا يمكن تركها تمر دون عقاب. ولكن في النهاية، اقتصر الأمر على أربعة أشخاص فقط لقوا عقاب الموت.

كان رسول الله قد أمر خالد بن الوليد ألا يسمح بقتال إلا إذا قوتل هو أولاً، ولم يكن إعلان السلام وشروطه قد بلغت هذا الجزء من المدينة الذي دخل منه خالد، واحتشد أهل هذا الجانب من مكة، وتحذروا خالدًا ودعوه إلى القتال، وحدثت معركة سقط فيها اثنا عشر رجلاً أو ثلاثة عشر. كان خالد رجلاً ذا طبع حاد باتر، وخشي بعض الناس معبة ذلك، فأسرع بالخبر لرسول الله ليوقفه، فأرسل الرسول ﷺ لخالد ينهائه عن ذلك سائلاً إياه: "ألم أهلك عن القتال؟" وأجاب خالد بالإيجاب، ولكن عذره أن هؤلاء الناس هاجموا أولاً وبدأوا برمي السهام، وأنه لم يفعل بهم شيئاً في البدء وبين لهم أنه لا يريد قتالاً، ولكنهم لم ينصتوا ولم يتوقفوا عن الرماية، فاضطر للرد عليهم وتفريقهم. كانت هذه هي الواقعة

السلام لبلدته. ولكن هند زوجته لقيته، وهي المشهورة بعذائها الشديد للمسلمين، وبكفرها العنيد. غير أنها كانت شجاعة، فأمسكت بشارب زوجها وقالت: "اقتلوا الحميت الدسم الأحمش الساقين، قبح من طليعة قوم". وهكذا أهتمته بالعار، ونادت الناس للثورة عليه قائلة إنه بدلاً من تحريك بلده للدفاع عن شرف بلدهم والتضحية بأرواحهم في سبيلها، فقد جاء يدعوهم للسلام.

ولكن أبا سفيان كان يرى الحقيقة، ويرى زوجه تتصرف بحمق، ويرى أن هذا الزمن الذي تعيش فيه زوجه قد ولى، وأن عليها أن تذهب لمنزلها لتتبع خلف بابها المغلق. وصاح في قومه: "لا تغرّنكم هذه من أنفسكم، فإنه قد جاءكم بما لا قبّل لكم به". وقال لهم إنه شاهد الجيش الذي جاء إلى مكة، وعرف نوعية مقاتليه، وأن أهل الجزيرة العربية بأكلمها لا يستطيعون أن يصمدوا أمامه. ثم أخذ يشرح لهم شروط السلام التي قررها الرسول ﷺ، والتي تحددت حدودها في الإعلان النبوي عن الأماكن الآمنة وكيفية نوال السلامة والأمن. ولقد استثنى إعلان الأمان أحد عشر

قيادة الأنصار من سعد إلى قيس. لقد كان قراراً سديداً وخطوة حكيمة، هدأت من روع أهل مكة، وفي نفس الوقت لم تخرج القيادة من الأنصار، فلقد كان القائد هو ابنه، وكان شاباً نقيّاً ورعاً يحظى بالثقة الكاملة للرسول ﷺ. ويمكن تبين مدى تقواه من حادثة متأخرة قبل موته، وكان يستقبل عواده من الأصدقاء على فراش مرضه الذي مات فيه. ولاحظ أن بعضهم لم يأت ليعوده، ولم يفهم السبب، وسأل عنهم فقيل له: "إنك تداين الناس وبعضهم يخشى المطالبة إذا جاء يعودك". فقال: "إذن فأنا السبب في بعدهم عني، أعلنوا على الملأ أن كل من يدين لقيس بدين فهو له، ولا دين لي على أحد". وعقب هذا الإعلان تلقى قيس عدداً هائلاً من الزيارات والدعاء في أيامه الأخيرة، حتى أتمرت درجات السلم المؤدية لبابه من كثرة الزوّار.

عندما اكتمل استعراض الجيش المسلم طلب العباس من أبي سفيان أن يسرع إلى مكة ليُعلم أهل مكة بقدم الرسول ﷺ، ويشرح لهم طريقة التأمين الذاتي لكل منهم. وبلغ أبو سفيان مكة فعلاً وبدأ يُعلن شروط



كنتم تطلبونني، فما أنا ذا، ولكن ليس كما كنتم تريدون. لقد كنتم تريدونني سجيناً، مهيناً، ضعيفاً رهن رحمتكم. ولكن ها أنا ذا وقد منحني الله القوّة والمنعة، فليست عشيرتي وحدها هي التي تقف معي، بل إن أهل الجزيرة العربية كلها يقفون إلى جواربي. لقد كنتم تريدون من عشيرتي أن تُسلمني إليكم، ولكنهم بدلاً من ذلك قد سلّموكم أنتم إليّ.

العربية كلها يقفون إلى جواربي. لقد كنتم تريدون من عشيرتي أن تُسلمني إليكم، ولكنهم بدلاً من ذلك قد سلّموكم أنتم إليّ.

كان يوم الفتح هذا هو يوم الاثنين، وهو نفس اليوم أيضاً الذي غادر فيه الرسول ﷺ وأبو بكر غار ثور في طريقهما إلى المدينة. في ذلك اليوم، ألقى ﷺ بنظرة على مكة وقال: "يا مكة، والله إنك لأحب بلاد الله إلى الله، وأحب بلاد الله إليّ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما خرجت".

وحينما دخل الرسول ﷺ مكة، كان يمتطي ناقته، ويمشي بجواره أبو بكر وهو يتوكأ على عصا، بينما كان يتلو بعض الآيات الكريمة من سورة الفتح التي أنبأت بفتح مكة منذ سنوات مضت.

أبي طالب وعانوا مقاطعة مريرة استمرت مع حصار طال حتى بلغ السنوات الثلاث.

وهكذا كان المكان الذي اختاره الرسول ﷺ لإقامته ذا مغزى معيّن. لقد اجتمع أهل مكة هناك يوماً، وأقسموا أنه لن يقوم سلام مع عشيرته ما لم يقوموا بتسليمه إليهم. وها قد جاء الرسول ﷺ إلى نفس ذلك المكان، وكأنه قد جاء ليقول لهم: لقد كنتم تطلبونني، فما أنا ذا، ولكن ليس كما كنتم تريدون. لقد كنتم تريدونني سجيناً، مهيناً، ضعيفاً رهن رحمتكم. ولكن ها أنا ذا وقد منحني الله القوّة والمنعة، فليست عشيرتي وحدها هي التي تقف معي، بل إن أهل الجزيرة

الوحيدة المؤسفة في تلك المناسبة، ولكن من الناحية العملية وبوجه عام، يمكن اعتبار أن فتح مكة قد تم سلمياً دون إراقة دماء.

ودخل الرسول ﷺ مكة. وسألوه أين سيقم، فسألهم عما إذا كان عقيل قد ترك داراً أو منزلاً في مكة. كان عقيل ابن عم الرسول ﷺ، وأثناء فترة غيابه بعد هجرته إلى المدينة، باع أقرباؤه كل بيوته، فلم يكن قد بقي مكان يمكن أن يعتبره بيتاً له. لذلك قال لهم أنه سينزل في خيف بني كنانة، وكان مكاناً مفتوحاً، حيث تعاهدت قريش وكنانة وأقسموا أنه ما لم يسلم بنو هاشم وبنو عبد المطلب رسول الله إليهم يفعلون به ما شاءوا، فإنهم لن يتعاملوا مع القبيلتين، لا يبيع ولا شراء معهم، فلجأ رسول الله وعائلته وأتباعه إلى شعب

إلا أنه غالباً ما صُيغت هذه المعجزات بروايات خرافية قد تكون أبعد ما يكون عن الواقع وعن حقيقة ما حدث بالفعل. وهكذا تداولتها الألسن مع مرور الزمن، فلم تسلم من التشويه والإضافات والتحريف سواء بقصد أو دون ذلك، لدرجة أن ما علق بأذهان الناس من هذه القصص والحوادث يرتكز في الأساس على مدى غرابة هذه الحوادث وكونها خارقة لقوانين الطبيعة والحياة، وبذلك تقرر مدى عظمة تلك المعجزات، فكلما كانت المعجزة مناقضة أكثر لقوانين الطبيعة اكتسبت عظمة أكبر عند أتباع الديانات المختلفة.

وبما أن هذه المعجزات تكاد لا تعد ولا تحصى، دأبت من خلال هذه الدراسة أن أحص الحديث عن بعض معجزات سيدنا موسى عليه السلام، لا سيما تلك التي جاء بها ذكر العصا، والتي نالت حصة وفيرة من سور وآيات القرآن الكريم، وكذا في الشرح والتفصيل على يد المفسرين المسلمين كل حسب اجتهاده ومعرفته. إلا أنه كثيراً ما غلبت على هذه التفاسير مفاهيم سطحية خاطئة، أضفت على هذه القصص نوعاً من الخيال الخرافي، وأكسبت العصا هالة سحرية خارقة للطبيعة وقوانينها،

إزالة الحصى...

عن معجزات

موسى عليه السلام والعصا

(الجزء الأول)

بقلم : د. أيمن فضل عودة

تعتبر المعجزات من أهم ما جاء به الأنبياء، وسردته لنا الكتب المقدسة وتحدثت عنه الأديان المختلفة على مر العصور، وذلك لكونها عاملاً مُهماً في إظهار صدق هؤلاء الأنبياء والدعوات السماوية التي جاؤوا بها.



* كاتب أحمدى مقيم بهولندا

أَنْ تُلْقِي وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ
نَحْنُ الْمُلْقِينَ * قَالَ أَلْقُوا
فَلَمَّا أَلْقُوا سَحَرُوا أَعْيُنَ
النَّاسِ وَاسْتَرَهُبُوهُمْ وَجَاءُوا
بِسِحْرٍ عَظِيمٍ * وَأَوْحَيْنَا إِلَى
مُوسَى أَنْ أَلِقْ عَصَاكَ فَإِذَا
هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٦-١١٨﴾

(الأعراف: ١١٦-١١٨)
٢. ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ
تُلْقِي وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ
مَنْ أَلْقَى * قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا
حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ
مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى *
فَأَوْحَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً
مُوسَى * قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ
أَنْتَ الْأَعْلَى * وَأَلْقِ مَا فِي
يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا
صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ
السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى * فَأَلْقَى
السَّحْرَةَ سُجَّادًا قَالُوا آمَنَّا
بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴿٦٦-٧١﴾

٣. ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرَةُ
قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَنَا لِأَجْرًا
إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ *
قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ
الْمُقَرَّبِينَ * قَالَ لَهُمْ مُوسَى
أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ * فَأَلْقُوا

مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى
أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ
الْآمِنِينَ ﴿٣٢﴾ (القصص ٣٢)

الحادثة الثانية:

هي ما حصل له ﷺ،
عندما أرسله الله عز وجل
إلى فرعون وملئه، ليبشرهم
برسالة السماء، وقد أعطاه
الله عز وجل آيتين لإظهار
صدقه، كما جاء ذكره في
القرآن الكريم على النحو
الآتي:

١. ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ
ثُعْبَانٌ مُبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ
فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ ﴿١٠٨-١٠٩﴾
(الأعراف ١٠٨-١٠٩)
٢. ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ
ثُعْبَانٌ مُبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ
فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ ﴿٣٣-٣٤﴾
(الشعراء ٣٣-٣٤)

الحادثة الثالثة:

تتعلق بالمبارزة التي جرت
بين سيدنا موسى ﷺ
وسحرة فرعون، وجاء
ذكرها في الآيات التالية:
١. ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا

الحادثة الأولى:

ما جرى له ﷺ وهو في
طريقه إلى مصر، بعد أن
قضى في مدين مدة عشر
سنوات من الخدمة مع النبي
شعيب ﷺ، حيث ألقى
عصاه فإذا هي حية تسعى،
وقد ورد ذكر هذه الحادثة
في القرآن الكريم في ثلاث
سور كما يلي:

١. ﴿وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَا
مُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ
أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا
عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَآرِبُ
أُخْرَى * قَالَ أَلْقَهَا يَا
مُوسَى * فَأَلْفَاهَا فَإِذَا هِيَ
حَيَّةٌ تَسْعَى * قَالَ خُذْهَا
وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا
الْأُولَى ﴿١٨-٢٢﴾ (طه: ١٨-٢٢)
٢. ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا
رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى
مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى
لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ
لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴿١١﴾ (النمل: ١١)
٣. ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا
رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى

وهو ما ترتب عليه المفهوم
والتفسير السائد بين عامة
المسلمين للإعجاز في هذه
الحوادث، وكأن المعجزات
في حقيقتها لا تتأتى إلا
إذا ضمت في طياتها ضربا
من ضروب الخيال البعيد
عن سنن وقوانين الطبيعة
العلمية.

وعليه فقد أردت من
خلال هذه الدراسة، تبيان
حقيقة الحوادث المتعلقة
بمذه المعجزات، وإظهار
حقيقة الإعجاز فيها وفقا
لما تقوله وتفسره الجماعة
الإسلامية الأحمدية لهذه
الآيات، مستعينا باجتهادات
مفسريها وخلفائها الكرام
ومقارنا إياها مع التفاسير
الإسلامية المتداولة بين عامة
المسلمين والمفسرين ورجال
الدين.

لقد ورد ذكر عصا موسى
ﷺ في خمس سور من
القرآن الكريم، تناولت
سرد خمس حوادث
وقعت مع سيدنا موسى
ﷺ:



حَبَالَهُمْ وَعَصَبِهِمْ وَقَالُوا بَعِزَّةٍ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ* فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ* فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ* قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ* رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿الشعراء ٤٢-٤٩﴾

الحادثة الرابعة:

تحدثت عن قصة عبور بني إسرائيل البحر عند مناهضة فرعون لهم ومطاردته إياهم، وجاء ذكرها في سورة الشعراء ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ (الآية: ٦٤).

الحادثة الخامسة:

تحدثت عن استسقاء موسى ﷺ لقومه عندما هاموا على وجعهم في صحراء سيناء، فأمره الله بضرب حجر ليخرج من تحته الماء، وهو ما ذكر في الآيات التالية:

١. ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (البقرة: ٦١)
٢. ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا

أُمَّمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ.....﴾ (الأعراف ١٦١)

نخص الحديث أولاً عن الحوادث الثلاث الأولى المذكورة أعلاه:

المفهوم الراجح عند العامة والمفسرين:

باديء الأمر أورد على سبيل المقارنة بعض التفاسير المأخوذ بها عند عامة المسلمين لهذه الآيات، فبالنسبة للحادثة الأولى يقول ابن كثير: "عندما ألقاها (العصا) تحولت في الحال إلى حية عظيمة هائلة في غاية الكبر وسرعة الحركة، والجنان ضرب من الحيات أسرع حركة وأكثره اضطراباً... فلما عين موسى ذلك ولى مدبراً ولم يعقب، أي لم يلتفت من شدة فرقه". ويقول أيضاً: "تضطرب (الأفعى) من حركتها السريعة، مع عظم خلقها وقوائمها واتساع فمها واصطكاك أنيابها وأضراسها، بحيث لا تمر بصخرة إلا ابتلعتهما، تنحدر في فيها تتقعقع كأنها حادرة في واد".

و في شرح ما حدث للأفعى، عندما ذهب موسى ﷺ إلى فرعون يقول

ابن كثير: "فألقي عصاه فتحولت إلى حية عظيمة، فاغرة فاها مسرعة إلى فرعون، فلما رآها فرعون أنها قاصدة إليه، اقتحم عن سريره واستغاث بموسى أن يكفها عنه ففعل". وفي رواية أخرى يوردها ابن كثير حيث يقول "إنما (العصا) تحولت إلى ثعبان وهو الذكر من الحيات، فاتحة فاها واضحة لحيها الأسفل في الأرض والآخر على سور القصر، ثم توجهت نحو فرعون لتأخذه، فلما رآها ذعر منها ووثب وصاح يا موسى، خذها وأنا أو من بك وأرسل معك بني إسرائيل، فأخذها موسى ﷺ فعادت عصا". وفي رواية أخرى "إنما" (العصا) حملت على الناس فانهمزوا، ومات منهم خمسة وعشرون ألفا قتل بعضهم بعضاً".

وعما حدث في المبارزة بين موسى ﷺ وسحرة فرعون يقول: "إنه (موسى) عندما ألقاها (العصا)، صارت تنينا عظيماً هائلاً ذا قوائم وعنق ورأس وأضراس، وجعلت تتبع الحيات والعصي حتى لم تبق منها شيئاً إلا تلتفتته".

هذه بعض الاقتباسات من التفاسير المأخوذ بها، التي غلبت على أذهان المسلمين، وهي ترى في تحول العصا بشكل فعلي، إلى أفعى حقيقية عظيمة بأوصاف غير اعتيادية للأفاعي المعروفة

... إلا أننا لا بد أن نقرأ أنه لو حدث كمثل هذه الحوادث فمهما كانت القوانين الطبيعية التي تسيروها غير معروفة لنا فهي لا يمكن أن تناقض القوانين الطبيعية والسنن الإلهية والحقائق العلمية المثبتة والمعروفة لنا....

وهذا هو الأمر الأساسي الذي يضفي صبغة الإعجاز على حوادث الأنبياء، وليس ما يعترها من خيالات بعيدة أشد البعد عن الواقع والطبيعة. فعند تتبعنا لمعجزات الأنبياء، لسنا ملزمين في تحري هذه الخيالات والخرافات للوقوف على وجه الإعجاز فيها، إذ قد يكون هذا الوجه مستترا في نواح معينة من الأحداث، قد تغيب لأول وهلة عن أنظار القراء والمفسرين، كما سوف أبينه لاحقاً.

ويعني آخر، فإن هذه المعجزات قد تندرج تحت إطار القوانين الطبيعية، مع أنه ليس من العادة وليس مما نجأه في الحياة اليومية بشكل اعتيادي، أن نرى تضافر وتزامن هذه الأسباب والمسببات، في مكان وزمان واحد، مع الأحداث الخاصة بها، لوقوع هذه الظواهر الطبيعية الإعجازية.

لا يمكن أن تناقض القوانين الطبيعية والسنن الإلهية والحقائق العلمية المثبتة والمعروفة لنا، وذلك انطلاقاً من قوله تعالى ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾، كما أن الله عز وجل الخالق الذي أحسن كل شيء خلقه بنظم وقوانين متجانسة ومتناسقة، لا يمكن أن يخل بنفسه في هذا النظام الذي صنعه بيده، لا لشيء سوى أنه بنفسه قد صرح بذلك وفق الآية السابقة، كما أنه عند الحديث عن المعجزات، لا بد من التفرقة بين كون الحوادث خارقة للعادة وبين كونها خارقة لقوانين الطبيعة، فليس ضرورياً أن تكون المعجزات خارقة عن نطاق هذه القوانين، لتحمل في طياتها صبغة الإعجاز، بل قد تكون خاضعة لهذه القوانين في الوقت الذي تكون فيه أمراً غير عادي، لتكون بذلك حجة دامغة على صدق الأنبياء والمرسلين، وهو الهدف الأسمى المرجو منها،

لنا وفي عالمنا، وقد أفرغت هذه الأفعى فرعون وأتباعه، ونُسبت إليها القصص التي لا أصل لها ولا منطوق فيها. والأدهى والأمر من ذلك، أن أخذ المسلمون هذه القصص وصيغوها بطابع الإعجاز، الذي منحه الله عز وجل لموسى عليه السلام تصديقا له أمام أعدائه.

طبيعة المعجزات

لا بد أن أتوه هنا، إلى أنه لا شك في كون هذه الحوادث كلها معجزات من الله عز وجل لموسى عليه السلام، إلا أننا لا نأخذ بهذه التفاسير الخرافية المعمول بها في فهم هذه المعجزات، كمثال التي أوردناها آنفاً. كذلك فإننا لا نرى في وجوب اندراج المعجزات تحت إطار القوانين الطبيعية المعروفة لنا، وذلك لأنه إذا ثبت وجود شيء معين أو حدوث حدث ما بشكل قطعي ويصرح به الله عز وجل، يجب علينا أن نقبل به حتى لو لم نستطع فهم المعجزات وتفسيرها حسب القوانين الطبيعية المعروفة لنا، وذلك لأن معرفتنا لهذه القوانين محدودة، وليس بإمكاننا أن ننكر حقيقة معينة على أساس معرفتنا المحدودة هذه. إلا أننا لا بد أن نقرأ أنه لو حدث كمثال هذه الحوادث فمهما كانت القوانين الطبيعية التي تسيروها غير معروفة لنا فهي

حقيقة هذه المعجزات

نعود الآن لشرح ما حدث مع موسى عليه السلام في الحوادث المذكورة أعلاه، إذ أن تحول العصا إلى أفعى المزعوم به في الحالات الثلاث الأولى المذكورة آنفاً، لم يحدث بالطريقة المعروفة بين الناس، وذلك لأن المعجزات التي تُرى من قبل الله عز وجل على يد أنبيائه ليست من قبيل السحر والشعوذة، بل إن لها أهدافاً روحانية عالية. أحد هذه الأهداف هو ترسيخ الإيمان واليقين وإضفاء شعور من التقوى ومحافة الله في نفوس من يشاهدها، فلو تحولت العصا بالفعل إلى أفعى لكان الأمر أقرب للشعوذة منه إلى معجزة نبي. وفي الحقيقة إن القرآن لا يؤيد وجهة النظر التي تقول بتحول العصا إلى أفعى حقيقية، بل إنه لم يحدث شيء من هذا القبيل قط، وما حدث بالفعل في هذه الحوادث، هو بمثابة رؤى وكشوف قد رآها موسى عليه السلام لوحده وهو في طريقه إلى مصر، والأخرى اشترك فيهما كل من موسى عليه السلام وفرعون نفسه مع قومه، وفي كل هذه الحالات بقيت العصا كما كانت ولم تتغير أو تتبدل، وإنما قد سيطر الله عز وجل على أبصار كل من موسى عليه السلام وفرعون وملئه، ليريهم كشفاً

الله عز وجل عندما يريد أن يقيم الحجة على الكافرين، من الممكن أن يريهم هذه الكشوف عليهم يتعظون بها ويؤمنون بالرسول المبعوث إليهم.

يرون من خلاله بأن العصا تأخذ شكل الأفعى، وهذه في الحقيقة ظاهرة روحية شائعة تحدث للإنسان الذي يكون في مستوى روحي عال، حيث يتسنى له عندئذ أن يرى أموراً خارج نطاق معرفته، وما لا يمكن أن يُرى بالعين المجردة.

وعلى سبيل المثال أذكر حوادث مماثلة حدثت في زمن الإسلام، وهي تطابق تماماً ما حدث مع موسى عليه السلام وفرعون وأتباعه، وهي تندرج تحت نفس الكيفية والإطار كالتالي:

١. حادثة انشقاق القمر التي جاء ذكرها في القرآن الكريم في سورة القمر ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾، والتي كانت معجزة من معجزات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فخلافاً للتفسير المتداول بين عامة المسلمين، فإن انشقاق القمر لم يحدث هو الآخر فعلياً، بل إن ما حدث هو أيضاً كشف اشترك فيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأتباعه ومعارضوه من الكفار، فقد

أراهم الله كشفاً رأوا به القمر كأنه انشق، رغم أنه بشكل فعلي لم يتغير ولم يتبدل، بل بقي كاملاً متكاملًا وهذا لا يخالف قوانين الطبيعة وسننها.

٢. الحادثة التي وقعت عندما كان جيش المسلمين يقاتل في العراق، فرأى سيدنا عمر بن الخطاب جيش العدو يطوق جيش المسلمين، وهو بعيد عنهم آلاف الأميال على منبر المسجد يخطب بالمسلمين خطبة الجمعة، فصاح يقول منادياً قائد جيش المسلمين "يا سارية الجبل.. يا سارية الجبل" وأما سارية قائد الجيش قد سمع بدوره هذا النداء وسط ضجيج المعركة وأزيز السيوف، وكل هذا ما كان سوى كشف رآه سيدنا عمر بن الخطاب عن وضع جيش المسلمين بالمعركة، وتبعه على الفور كشف آخر رآه سارية قائد الجيش، فما كان له إلا أن يمثل لهذا النداء وينقذ المسلمين من هزيمة نكراء كانت على وشك أن تلم بهم.

استعملت عندما كان موسى مع فرعون وقومه.

٣. حية ومعناها عام فتعني أفعى كبيرة أو صغيرة واستعملت عند مجرد ذكر تحول العصا إلى أفعى دون التطرق إلى ما يراه سيدنا موسى بنفسه.

وعليه فإن هذه الاستعمالات الثلاثة لم تكن عشوائية، وإنما استعملت كل منها في ظرف معين وبشكل مقصود، ليكون لها معنى خاص بالظرف نفسه، لذا فلا تناقض في استعمالها رغم أنها لا تحمل نفس المعنى الحرفي.

فعند استعمال كلمة "جان" لوصف العصا والتي تعني الأفعى الصغيرة سريعة الحركة، أراد الله عز وجل أن يرمز بذلك لموسى عليه السلام أن بني إسرائيل - قومه المتمثلين بالعصا في هذا الكشف - سوف يتطورون بسرعة من أمة صغيرة منحطة إلى شعبان كبير يحطم فرعون وقومه، أي أنهم سيكونون الوسيلة التي تحطم فرعون وجنوده.

ومن الجدير ذكره هنا أنه عند ذكر كلمة جان في الآيات المذكورة آنفا لم يذكر بأن العصا قد تحولت إلى جان، وإنما قال الله عز وجل (كأنها جان) باستعمال أداة التشبيه (كأن) وهذا دليل على أن العصا لم تتحول فعليا إلى

جنبي الرسول محمد عليه السلام جملين عظيمين يريدان أن ينهالا عليه ويمزقاه، فخاف ولى طلب النبي محمد عليه السلام. فإن رؤية الجملين ما كانت سوى كشف آخر أراه الله عز وجل لأبي جهل لكي يهيبه ويجعله يمتثل لأمر النبي عليه السلام، وهذا دليل على أنه من الممكن أن يرى الكفار في حالات معينة، كمثال هذه الرؤى والكشوف، خاصة إذا كان الهدف من ذلك إعطاءهم حجة دامغة على صدق النبي المرسل إليهم.

مفهوم هذه الكشوف

بعد أن بينا أن معجزة تحول العصا إلى أفعى المزعومة، لم تحدث فعليا وإنما كانت كشفا من الله عز وجل لموسى ومن حوله، لا بد لنا أن نخرج على المغزى المرجو من هذا الكشف الذي أراه الله عز وجل للناس. وهنا لا بد أن ننوه إلى أن الآيات التي تحدثت عن هذه القصة قد ورد فيها ثلاثة أوصاف للعصا وهي:

١. الجان وتعني الأفعى الصغيرة سريعة الحركة، وقد استعملت عندما رأى سيدنا موسى عليه السلام الكشف لوحده في رحلته من مدين إلى مصر.
٢. شعبان وتعني الأفعى الكبيرة وقد

٣. الحادثة الثالثة هي رؤية الملائكة التي أنزلها الله عز وجل لنصرة المسلمين في معركة بدر، فقد كانت هي الأخرى من قبيل الكشف، حيث رأى المسلمون والكفار هذه الملائكة بهذه الطريقة.

ورب سائل يسأل، كيف يمكن للكفار أن يروا رؤى وكشوفاً خاصة أن هذه الرؤى والكشوف الصالحة يهبها الله لعباده الأبرار؟

والجواب على هذا السؤال هو، أن الله عز وجل عندما يريد أن يقيم الحجة على الكافرين، من الممكن أن يريهم هذه الكشوف عليهم يتعظون بها ويؤمنون بالرسول المبعوث إليهم.

فعلى سبيل المثال هنالك حادثة تؤكد إمكانية وقوع هذا الأمر، حيث إنه قد روي عن أبي جهل الذي كان ألد أعداء الرسول الكريم عليه السلام، أنه كان مدينا بمبلغ من المال لأحد الأشخاص الفقراء الغرباء في مكة، ولم يرد أن يعيد هذا المبلغ إلى صاحبه، فذهب إليه النبي محمد عليه السلام يطلب منه إعادة هذا المبلغ إلى صاحبه فأعاده على الفور، فتعجب أصحاب أبي جهل من تلبيته لطلب الرسول عليه السلام، وهم على علم بعداوة أبي جهل للنبي محمد عليه السلام، فاستوضحوا منه الأمر، فأجابهم أنه قد رأى على

أفعى أو جان.

إن في استعمال كلمة حية الواردة في سورة طه والتي تعني الأفعى الكبيرة أو الصغيرة له خاصيته من حيث التعبير، ففي هذا الكشف أراد الله أن يقول لموسى ﷺ، أن شعب بني إسرائيل الذي هو جامد ميت كالعصا، سيعطى حياة جديدة بواسطته هو أي موسى ﷺ، وذلك لأن كلمة حية تحمل في جذرها معنى الحياة والحركة.

كذلك فعند استعمال كلمة ثعبان، في وصف العصا في الحادثة التي جرت مع موسى ﷺ أمام فرعون وملئه، فالعصا في هذا الكشف ترمز إلى الوحدة، بينما الأفعى ترمز إلى العدو، حيث أراد الله عز وجل أن يقول لموسى ﷺ، عندما رمى العصا وتحولت إلى ثعبان، إنك يا موسى إذا تركت قومك أي بني إسرائيل فإنهم سيتحولون إلى أعداء لك، بينما إذا حفظتهم تحت رايتك وعنايتك، فإنهم سيتطورون إلى أمة متماسكة من رجال نورانيين وعلماء ومن الصالحاء والأتقياء، وليشعوا بهذا العلم والنور إلى غيرهم. وهذا ما يرمز إليه بتحول الأفعى إلى عصا عندما أمسك بها موسى مرة أخرى. وهذا لأن موسى ﷺ قد اعتذر في بادئ الأمر عن مهمة إصلاح

بني إسرائيل، التي كانت تبدو له مهمة شاقة، فعلمه الله بواسطة هذه الرؤيا أن الأمر منوط بمدى عنايته بهم ورعايته لهم.

وهذا بالفعل ما يؤكد تاريخ بني إسرائيل عندما تركهم سيدنا موسى، وترك أخاه هارون مع قومه خليفة له، فبدؤوا بعبادة العجل، وتحولوا إلى أعداء لسيدنا موسى ﷺ.

لقد تطرقنا حتى هذه السطور إلى الرؤيا التي رآها سيدنا موسى لوحده أو مع فرعون وملئه، وأما بالنسبة لما حدث مع السحرة من مبارزة، إذ تقول الآية الكريمة ﴿أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ إِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾، إن معنى كلمة لقف: يقال لقف الطعام أي ابتلعه ولقف الشيء أي أخذه وأمسك به بسرعة ومعنى الإفك أي الغش والخداع، فالمعنى الحرفي لكلمة لقف هو ابتلع، ويرمز إلى أن العصا المؤيدة بالقوة الروحانية للنبي موسى ﷺ، والتي ألقيت بأمر من الله تعالى، قد أظهرت وفضحت كل ما عمله السحرة من الغش والخداع، وحطمتهم أمام الناس عن طريق تحطيم الأمور التي كانت تحت تأثير فعل السحرة - من حبال وعصي وخدع الناس برؤيتها كأنها تسعى - إلى حطام.

ومما يدل على ذلك أن الآيات لا تقول بابتلاع العصا لحبال وعصي السحرة، وإنما ما كانوا يأفكون، أي غشهم وخداعهم، وبما أن الغش والخداع هو شيء غير ملموس أو محسوس، يكون معنى تلقف في هذه الآيات أي تبطل، فهي ابتلعت أي أبطلت وفضحت أثر سحرهم وغشهم وخداعهم، بتأييد من الله عز وجل وإشراف يده العليا. ومن الجدير ذكره، أن كل الآيات التي تتحدث عن هذه المبارزة تقول بوضوح، أن العصا هي التي لقت أو ابتلعت صنع السحرة، ولم تتحول إلى ثعبان كما يقول المفسرون، وهذا مجد ذاته دليل صارخ على بطلان كل تلك القصص الخرافية التي ألحقت بهذه المعجزات.

(يتبع)

المصادر:

١. الوحي، العقلانية، المعرفة والحق لسيدنا طاهر أحمد رحمه الله الخليفة الرابع للمسيح الموعود ﷺ
٢. تفسير القرآن لابن كثير.
٣. THE HOLY QURAAAN WITH SHORT COMMENTARY لسيدنا بشير الدين محمود أحمد الخليفة الثاني للمسيح الموعود ﷺ

حكم ونوادر

إعداد: جمال أغزول (المملكة المغربية)

فنظر إليه جعفر نظرةً مُنكرة، فقال العبد: يا مولاي
"والكاظمين الغيظ"، قال: كظمتُ غيظي.
قال الغلام: "والعافين عن النَّاس". قال: عفوت عنك.
قال الغلام: "والله يُحبُّ المُحسنين". قال: اذهب،
أنتَ حرٌّ لوجه الله تعالى، ولكَ من مالي ألف دينار!

من لسان الضاد

الغبَاوة والغبَاء، الغبَاوة: الجهل وقلة الفطنة. الغبَاء:
الخفاء من الأرض، ومن التراب: ما ارتفع من
غباره!

* بترك ما لا يعينك يتمُّ لك الفضل.

* أكرم نفسك عن كل ديناء.

* الألفاظ هي الثياب التي ترتديها أفكارنا.

* لا تجادل بليغا ولا سفيها. فالبليغ يغلبك والسفيه
يؤذيك.

من مآثر الأبرار

حُكِيَ أن غلامًا لجعفر الصادق - رحمه الله - سكبَ
على يده الماء في الطَّشْت، فطار الماء على ثوبه،

أبيات لها معان: (منصور الحلاج)

وللعُلُومِ وَأَهْلِيهَا تَجَارِيْبُ
وَالْبَحْرِ بَحْرَانِ مَرْكُوبٌ وَمَرْهُوبٌ
وَالنَّاسُ اثْنَانِ مَمْنُوحٌ وَمَسْلُوبٌ

للعِلْمِ أَهْلٌ ولِلْإِيْمَانِ تَرْتِيْبُ
وَالعِلْمُ عِلْمَانِ مَنبُودٌ وَمُكْتَسَبُ
وَالدَّهْرُ يَوْمَانِ مَذْمُومٌ وَمُمْتَدَحُ



فقه الإنترنت

إعداد: علاء عثمان

(خبير تصميم مواقع)

مخاطرها الاقتصادية والأمنية والاجتماعية والثقافية. وإذا كانت مجتمعاتنا العربية لم تتأثر بعد بشكل ملموس بمخاطر هذا النمط المستجد من الإجرام، فإن خطر جرائم الكمبيوتر والإنترنت المحتمل في البيئة العربية يمكن أن يكون كبيرا باعتبار أن الجاهزية التقنية أي استراتيجيات حماية المعلومات ليست بالمستوى المطلوب إن لم تكن غائبة تماما. وبالمقابل فقد أمست جرائم الكمبيوتر والإنترنت من أخطر الجرائم التي تقترب في الدول المتقدمة وتحديدا في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا ولهذا تزايدت خطط مكافحتها وانصبت الجهود على دراستها المتعمقة وخلق آليات قانونية للحماية من أخطارها. وبرزت في هذا المجال المنظمات الدولية والإقليمية بقصور قوانينها الجنائية لما تتضمنه من نصوص التجريم التقليدية. فكان لا بد للعديد من الدول من وضع قوانين وتشريعات خاصة، أو العمل على تعديل قوانينها الداخلية من أجل ضمان توفير الحماية القانونية الفاعلة ضد هذه الجرائم. إن أكثر مسألة بهذا الصدد مثيرة للجدل هي بدون شك مسألة تحديد قائمة جرائم الكمبيوتر وتحديد أنماط السلوك الإجرامي والأفعال المترتبة عليه وتبيين القوام القانوني لهذه الجرائم. ولقد أفرزت هذه المسألة خلافا وتباينا موضوعيا لدى الفقه الجنائي في مختلف النظم القانونية حول مدى انطباق نصوص القوانين الجنائية التقليدية على هذه الجرائم - على الأقل في السنوات الأولى لبروز الظاهرة وقبل أن تتجه الآراء للحسم لجهة عدم قابلية النصوص القائمة أو عجزها وعدم كفايتها للانطباق على هذه الأنماط الجديدة من الجرائم الأمر الذي يستدعي تخريج باحثين في القانون الجنائي الإنترنتي أو بالأحرى فقهاء قانون أمن المعلومات!!

يشهد عالم الإنترنت ظاهرة جرائم تعرف بـ (سبير كرايم- Cyber Crime) أي جرائم التقنية العالية. إنها ظاهرة إجرامية مستجدة نسبيا تفرع أجراس الخطر لتنبه مجتمعات العصر الراهن بحجم المخاطر وهول الخسائر الناجمة عنها، حيث إنها تستهدف الاعتداء على المعطيات بغض النظر عن دلالتها التقنية الواسعة، (بيانات ومعلومات وبرامج). فهي جريمة تقنية تنشأ في الخفاء يشرف عليها مجرمون أذكيا يمتلكون أدوات المعرفة التقنية وسيئون استعمالها لنيل من معطيات الكمبيوتر المخزنة والمعلومات المنقولة عبر نظم وشبكات المعلومات وفي مقدمتها الإنترنت. فتمس الحياة الخاصة للأفراد وتهدد الأمن القومي وتشيع فقدان الثقة بالتقنية وتهدد إبداع العقل البشري. لذا فإن إدراك ماهية جرائم الكمبيوتر والإنترنت واستظهار حجم الخسائر الناجمة عنها وسمات مرتكبيها ودوافعهم يتخذ أهمية استثنائية لسلامة التعامل مع هذه الظاهرة ونطاق

3 أم القرية

Satellite: Atlantic Bird 4
Frequency: 10892 MHz
Polarisation: Horizontal
FEC: 3/4
Symbol Rate: 27500

16 Gressenhall Road, London, SW18 5QL, United kingdom



ALTAQWA

Monthly Islamic Magazine / Vol. 20 - Issue 3, July 2007

الموقع العربي الرسمي للجماعة الإسلامية الأحمدية العالمية

The screenshot displays the website's interface. At the top, there is a header with the logo 'ISLAM AHMADIYYA' and the text 'المجلة الإسلامية الأحمدية العالمية'. Below this is a navigation bar with links for 'الرئيسية', 'أصلنا وأصولنا', 'إتصل بنا', and 'عن الموقع'. A search bar is also present. The main content area features a list of magazine issues, each with a thumbnail image and a title. The issues listed include:

- المجلد 19، العدد 4، ذو القعدة ونو الحجة 1427هـ (كتاب الأول / ديسمبر 2006م)
- المجلد 19، العدد 7، شوال ونو القعدة 1427هـ (تشرين الثاني / نوفمبر 2006م)
- المجلد 19، العدد 6، رمضان وشوال 1427هـ (تشرين الأول / أكتوبر 2006م)
- المجلد 19، العدد 5، شعبان ورمضان 1427هـ (أول / سبتمبر 2006م)
- المجلد 19، العدد 4، رجب وشعبان 1427هـ (آب / أغسطس 2006م)
- المجلد 19، العدد 3، جمادى الثانية ورجب 1427هـ (نور / يونيو 2006م)
- المجلد 19، العدد 2، جمادى الأولى وجمادى الثانية 1427هـ (حزيران / يونيو 2006م)

The sidebar on the right contains several sections:

- مقدمة وتعريف**: Includes links for 'مفاتيح الجماعة الإسلامية الأحمدية', 'الأحمدية... عقيدة', 'تاريخ الأحمدية في التيار العربي', 'مدونات الأحمدية إلى العالم العربي', 'من ساحة الحرب وأوقات الشدة', 'الدور على بعض الأحداث العالمية', 'الإمام المهدي والمسيح الموعود'.
سيرته وبعثه: Includes links for 'يسرى ذات حلقه عليه السلام', 'حبه له عز وجل', 'حبه للمؤمنين حتى أنه عليه وسام', 'حبه للمؤمنين الكبار', 'حبه للحرب', 'بأهله وشروطه الصالحة والصادق', 'ببؤسائه الذين يشكك فيهم الظالمون'.
الخلافة في الإسلام: Includes links for 'نظام الخلافة في الإسلام', 'الخلافة الرشيدة الأولى', 'الخلافة الرشيدة الثانية', 'سيره خلفه الإمام المهدي', 'مفاتيح'.
عقيدتنا في الله تعالى: Includes links for 'عقيدتنا في الرسوخ (س)', 'عقيدتنا في القرآن الكريم'.
التفسير الكبير: Includes links for 'تفسير التيسير على الله عليه وسلم', 'وقفاً تيسير من فهم عليه السلام', 'الجهاد في الإسلام', 'عقوبة الجرد', 'حقيقة التصحیح الدخان', 'حقيقة الإسراء والمعراج', 'لا تسبح في القرآن الكريم', 'مفهوم الإسلام وعقيدته للتسامح'.
تفسيرات: Includes links for 'حقيقة التلاوة', 'الحياة بعد الموت', 'هل يوجد حياة بعد الأسماء?', 'سورة القدر والولادة النبوية', 'حقيقة الجنة والجهنم'.
التقارير الشهرية: Includes a link for 'التقارير الشهرية'.
مفاتيح: Includes a link for 'مفاتيح'.

At the bottom of the page, there is a footer with the text '10 9 8 7 6 5 4 3 2 1' and the website address 'http://www.islamahmadiyya.net'. The footer also contains contact information and a copyright notice: '© الجماعة الإسلامية الأحمدية 2005. جميع الحقوق محفوظة. © 2005 Ahmadiyya Muslim Community. All rights reserved.'

http://www.islamahmadiyya.net